الباب الرابع

معروف الرصافي: حياته وأعماله

ولد معروف بن عبد الغني البغدادي الرصافي عام ١٨٧٥م وترعرع في بيت صغير جدا بمحلة القراغول في بغداد. وكان أبوه عبد الغني كثير الأسفار بحكم نظام الجندرمة الدرك[1] الذي كان منتسبا إليه. فنشأ الوليد في حضن أمه الرئوم فاطمة، وتحت رعاية أبيها جاسم قليل الصلة بأبيه. بلغ معروف الثالة من عمره أو كاد، أرسلته أمه إلى الكتاب اتباعا للعادة التي تعودها أهل بغداد، من إرسال أولادهم إلى الكتاتيب لتعلم حفظ القرآن والخط والكتابة. وغادر الرصافي معهد تعلمه الأول ليلحق بمدرسة إبتدائية، فقضى فيها سنوات ثلاثة، حتى أتم الدراسة فيها وحصل على شهادتها، ولحق بعد ذلك بالمدرسة (الرشدية العسكرية) في دار السلام. فمكث فيها سنوات ثلاثة، وصل فيها إلى الصف الثالث، وفي السنة الرابعة لم ينجح في إختبارها. فحمله على ترك المدرسة. وكان هذا الإخفاق سببا في نكوصه عن متابعة الدراسة.

وفي ما بعد اتجه الرصافي إلى طلب العلوم الدينية. وكان اضطراره إلى ترك الدراسة في المدارس الرسمية نقطة تحول عظيمة في حياته، فبعد أن كان يطمح في مناصب حكومية رفيعة، إذا بهذا الأمل يتبدد، فاتجه إلى التعمق في دراساته العلمية والأدبية الخالصة.

وكان الرصافي أن التحق بالدراسة على أستاذه الأول السيد محمود شكري الآلوسي، وقد نبغ في الدراسات الدينية حتى صار من أشد المتصوفين رهبانية حين ذاك مما دعا أستاذه الآلوسي إلى أن يطلق عليه لقب الرصافي حتى يكون به صنوًا للشيخ معروف الكرخي المتصوف الإسلامي الكبير ودرس كذلك على عدد من علماء ذلك الزمان منهم الشيخ عباس القصاب والشيخ قاسم القيسي وما إلى ذلك من شتى. وقد ظل الرصافي يحفظ الجميل لأساتذته هؤلآء ويحمل لهم الوفاء، وقد عرف الرصافي بشدة وفائه للذين أحبهم واتصل بهم وعرفهم.

وقد ظل معروف الرصافي يلازم أستاذه وشيخه محمود شكري الآلوسي إثني عشر عاما يأخذ عنه العلم ويبدوأنه يضطر تحت وطأة الضائقة التي أخذت بحناقة الإلتحاق بسلك الخدمة التعليمية فعين مدرسا في مدرسة الراشدية الإبتدائية التابعة للواء بغداد براتب ضئيل لايكاد يكفي لسد حاجاته المعاشية، وبعد أن قضى هذا العمل سنة واحدة. خلت وظيفة مدرس في مدرسة مندلي التابعة للواء ديالي، فالتحق بها لأن راتبها يزيد قليلا عن راتب وظيفته الأولى.

ويبدو أنه كان يسعى للعودة إلى بغداد، فاشترك في إمتحان مع عشرة مدرسين، نجح فيه بتفوق، فطلب إليه مدير الثقافة في ولاية بغداد أن يحاضر في إحدى المدارس الثانوية في بغداد في دروس الأدب العربي بالراتب نفسه الذي كان يتقاضاه في مندلي. وبقي الرصافي في وظيفته حتى عام ١٩٠٨م. وكان يرتدي العمامة والجبة وهي ملابس رجال الدين، وكان يرسل لحيته على طريقتهم.

وكان الرصافي خلال السنوات التي قضاها في التعليم ينشر قصائده في الصحف المصرية وخاصة جريدة "المؤيد" ومجلة "المقتطف" وغيرها، وأخذت شهرته تنتشر واسمه يتردد على الألسنة وشعره يتناقله الرواة، ويتذاكره أهل الأدب، ليس في البلاد العربية فحسب، بل في المهاجر كذالك.

الرصافي في الآستانة:

سافر الرصافي إلى الآستانة، ثم عاد إلى بغداد بعد أن أخذ منه نفقات ذهابه وإيابه. ولم يكد يمضي عليه شهران فيها، حتى دعي إلى الأستانة ليدرس اللغة العربية في المدرسة الملكية الشاهانية، وليقوم بالكتابة في مجلة "الإرشاد" فسافر إليها وقد انتخب نائبا عن لواء "المنتفق" وهو هناك. ولما أعلنت الحكومة العثمانية كما رجع غيره من النواب. وهناك عهد إليه بتدريس الخطابة في مدرسة الواعظين، التي أسستها وزارة الأوقاف فيما أسست من مدارس ومعاهد، لإصلاح شؤون رجال الدين. ولبث في الآستانة حتى اذا أعلنت الهدنة عزم على العودة إلى العراق، وكان السفر يومئذ

لايخلو من مخاطرة، فاضطر إلى الإقامة في دمشق نحو سبعة أشهر، ومنها توجه إلى القدس ليتولى تدريس آداب اللغة العربية بدار المعلمين.

وفي سنة ١٩٢١م طلبته حكومة العراق فلبى الطلب، وشغل بوزارة المعارف وظيفة نائب رئيس الترجمة والتأليف. فقضى فيها نحو سنة ونصف وسافر من العراق تحقيقا لقوله:

سأنصب للهواجر حرَ وجه ... يعود إلى الشروق به الغروب
وأضرب في البلاد بغير مكث ... أجوب من المهامة ما أجوب
إلى أن استظل بظل قوم ... حياة الحر عندهم تطيب[2]

وكان الرصافي قد تزوج في الآستانة، وأبقى زوجه هناك عند ما أراد أن يعود إلى العراق بعد إعلان الهدنة. ولما ازمع السفر من العراق تذرع برغبته في زيارتها، ليتمكن من نيل ماله من إجازة، ويتسلف رواتبه عنها فيستعين بها عن تذليل عقبات السفر، ولكنه لم يفق لما أراد. وقد أشار إلى تلك الذريعة بقوله:

قد عاقني الإملاق عن سفري إلى ... من طال معتلجا إليه حنيني
وأنا المشوق ولست ممن شاقهم ... بقر العذيب ولا مهايبرين
لكن قلبي لا يزال ... ظبي أقام بدار قسطنطين[3]
يشوقه

وأشار في قصيدة أخرى زوجته ساعة التوديع، حين اضطر في سفره هذا إلى مغادرة الآستانة قافلا إلى العراق:

تقول إبنة الأقوام وهي تلومني ... وأدمعها رقراقة في المحاجر
إلى كم تجد البين عني مسافرا ... أما تستلذ العيش غير مسافر
وأسلتها عني نشيح فلم تزل ... تردده منها بأقصى الحناجر
إلى أن تفاني الصبر فافتر مدمعي ... كمدمعها عن لؤلؤ متانائر
ولا غرو أن أبكي أسىً من بكائها ... فاعظم ما يشجى بكاء الحرائر
وقلت لها: إنى أمرؤ لي لبانة ... منوط مداها بالنجوم الزواهر

تعـــودت ألا أستينـــم إلى المنى وألا أرى إلا بهيئـــة ثـــائـــر
وأن أمضى الهـــم الذي هو مقلقي بطيَ الفيا في أو بخوض الدياجر
أمـــا ترين الوجـــه مني شـــاحبـــا لكثرة مـــا عرضتـــه للهواجـــر[4]

وبعد نحو سبعة أشهر من مغادرته بلاده أنشد:

آب المســافـر للديـــــا ر على اضطرار في إيابه
لو كـــان يجـنح للإيـــا ب لمـــا تعـجل فـي ذهابه[5]

وبقي ببغداد بغر عمل حكومي فأصدر خلال هذه الفترة جريدة سياسية باسم "الأمل" فلم تسمح له الظروف والأحوال أن يصدر منها أكثر من ثمانية وستين عددا. وفي أواخر سنة ١٩٢٤م، عين بوزارة المعارف مفتشا للغة العربية. ثم نقل إلى تدريس اللغة العربية وآدابها بدار المعلمين العالية. وفي سنة ١٩٢٨م، استقال ولم يعد إلى التوظف، بل ناب عن الأمة في المجلس النيابي خمس مرات فتقلب على كرسي النيابة نحو ثمانية أعوام، عاش بعدها بعيدا عن وظائف الدولة ومجلس الأمة نحو سبعة أعوام.

وكان قد هجر بغداد سنة ١٩٣٣م،حين رأى راتبه التقاعدي، لا يقيم أوده ولاينجده في عيشة، واختار له "الفلوجة" معتزلا، ثم عاد منها سنة ١٩٤١م وسكن الأعظمية. وفيها توفي صباح الجمعة السادس عشر من أذار (مارس) سنة ١٩٤٥م.

مؤلفات الرصافي:

ترك الرصافي آثارا كثيرة منها المطبوع و منها ما لم يطبع.

فالمطبوع منها:

1) الرؤيا 2) الأناشيد المدرسية 3) دفع الهجنة في ارتضاح اللكنة 4) نفح الطيب في الخطابة والخطيب 5) تمائم التعليم والتربية 6) دروس في تاريخ الأدب العربي 7) رسائل التعليقات 8) على باب سجن أبي العلاء 9) عالم الذباب 10) الديوان

و غير المطبوع:

1) الشخصية المحمدية 2) الآلة والأداة 2) آراء أبى العلاء المعري 4) دفع المراق في كلام أهل العراق 5) الرسالة العراقية 6) خواطر ونوادر 7) الأدب الرفيع في ميزان الشر العربي.

هذه هي الكتب التي تركها الرصافي. وسأتكلم عن كل كتاب منها كلاما وجيزا.

مؤلفاته المطبوعة:

1) الرؤيا :

هذا الكتاب رواية للأديب نامق كمال. نقلها إلى اللغة العربية بعد إعلان الدستور العثماني. و مما جاء في نداء الحرية الذي وجهته إلى أبناء الأمة العثمانية توقظهم به من النوم الذل و الهوان و تستنهضهم إلى المجد و السؤدد قولها: "ما أفظع هذا الذل فيكم ! وما أشنع هذا الجبن منكم؟ ماذا الذي منه تخافون؟ أمن الموت؟ فانظروا متى كان الخوف من دواعي الحياة و أسبابها! أمن الشقاء والتعب؟ فتأملوا من الذي شقي في الدنيا، بأن حمل أثقالا هي أكثر ثقلا و أعظم مشقة، من قيود الإساءة. التي أنتم متيدون، ولا ثقالها حاملون".

> "أفأنتم القوم الذين لازلت أسمع عنهم أنهم أعلى الأقوام همة، وأكثرهم بالفضائل إتصافا، وبالبسالة والشجاعة اشتهارا، وبالجملة والمروة اتساما، وأعظمهم للمصائب احتقارا وللمشكلات حلا واكتشافا، والمصعاب استسهالا، وعلى المهالك إقداما، ماأكذب هذه الشهرة، وما أحلى تلك الصفات عن المعنى!".[6]

2) الأناشيد المدرسية:

ألف الرصافي معظم هذا الكتاب بالقدس، وجمع هناك، وطبع سنة 1920م . وهو يحتوي على ما نظم الرصافي من الأناشيد المدرسية إلى ذالك الوقت وقد سجل لحن كل نشيد منها بالنوتة تسجيلا فنيا وأنقل منه هنا ما يصح أن يكون نموذجا له:

كان الرصافي إذاالتمس منه أن ينظم نشيدا طالب باللحن. وكان إذا جرى حديث الأناشيد واقتراح نظمها على الشعراء يقول: يجب أن يوضع اللحن أولا، ثم يعطى للشاعر لكي يستطيع أن يختار الألفاظ التي تلائم نغماته وتوائمها.

وضرب لنا مثلا نظمه النشيد الوطني[7]. وكان قد نظمه بالآستانة، فانه اعتاد حين كان هناك، أن يرتاد مجلس سليمان البستاني[8] الذي يعقده يوم الجمعة من كل أسبوع.

وفي ذات مرة و هو مقبل على الندي، سمع البستاني يقول: جاءنا من يجيب طلبك وينقذنا منك، ثم التفت إليه وقال: هذا وديع صبرا من الموسقين الفنيين، وقد وضع لحنا لنشيد وطني، ويريد له نظما يوافق لفظه ومعناه هذا اللحن، وأنت خير من يضطلع به. قال:

وحين اطلعت على اللحن نظمت هذا النشيد. وأنا أسمع تلاميذ المدارس ينشدونه بألحان مختلفة، وليس منها اللحن الذي وضعه وديع صبرا.[9]

3) دفع الهجنة في ارتضاح اللكنة:

جمع في هذا الكتاب كلمات عربية الأصل استعملت في اللغة العثمانية" وقصد من جميعها أن " تقي أبناء العرب من العجمة، و تحميهم من اللكنة " و قسم تلك الكلمات إلى خمسة أقسام. الأول ما لم يغير الأتراك لفظه ولا معناه. والثاني ما غيروا لفظه ومعناه، والثالث ما غيروا لفظه دون معناه ، والرابع ما غيروا معناه دون لفظه، والخامس ما وضعوه من عند أنفسهم على قواعد العربية، وليس هو من كلام العرب. والقسمان الرابع والخامس هما غرض المؤلف من وضع كتابه، إذ بهما يقع الإلتباس، ومنهما تنشأ اللكنة لأنها ألفاظ عربية المبنى تركية المعنى. ومن هذه الكلمات:

الف) تحرير:

يستعملونه بمعنى الكتابة والإنشاء، و يستعملونه بمعنى الإحصاء بالتسجيل كتحرير النفوس، وتحرير الأملاك.

نعم، يقال في العربية وغيره، أي قومه وحسنه بإقامة حروفه وإصلاح سقطه و هذا غير المعنى الذي يقصدونه من كلمة تحرير. إذهم يقصدون الكتابة والإنشاء. وقد يستعمله اليوم كتاب العربة إستعمالهم فيقولون: محرر بمعنى كاتب أو منشئ".

ب) إبتصار:

" وضعوها من عند أنفسهم واستعملوها بمعنى التبصر وليست من كلام العرب"

وتكلم عما غيروا لفظه دون معناه، وما غيروا لفظه ومعناه عرضا. وإن كان خارجين من غرض الكتاب. وقد طبع هذاالكتاب بمطبعة (صداى ملت) بالآستانة عام 1321 هجرية على نفقة مجلة لسان العرب[1].

4) نفح الطيب في الخطابة والخطيب:

وهو مجموعة المحاضرات التي ألقاها الرصافي على طلابه. عندما كان الرصافي نائبا عن المنتفق في مجلس المبعوثان العثماني عهد إليه بتدريس الخطابة العربية بمدرسة الواعظين. فجمع دروسه التي ألقاها في هذا الكتاب.

لم يجد الرصافي يومئذ من المراجع التي يعول عليها في الخطابة سوى كتاب البيان والتبيين للجاحظ. فدرسه بتدبر و إمعان واستخرج منه هذه الدروس. والرصافي يتحدث عن كتابه هذا ويبدي رأيه في الجاحظ وفي كتابه فيقول في فاتحة الكتاب: " ..... و بعد، فقد قرأت كتاب "البيان والتبيين" للجاحظ، و نظرت فيه بإمعان، فوجدت فيه من فنون البيان ما يفتق اللسان، ويخلب الجنان، إلا أنه احتوى على الغث والسمين، وجاء باالبخس والثمين. فكم وجدت فيه من درة إلى جنبها خزفة، ومن جمانة مقرونة بحصاة، ومن شذور ذهب يتخللها مخشلب، وكثيرا ما يخرج في كلامة عن الصدد. فبيناه يتكلم عن شيئ إذ تركه قبل التمام و خرج منه إلى شيئ آخر لايقتضيه المقام. وطالما وعد بذكر أشياء ثم لم يذكرها، وذكر أشياء وهو لم يعد بها. ولقد خيل لي أن الجاحظ عند تأليف هذا التأليف، كان يأخذ القلم فيكتب ما خطر له عن من غير مراعاة

[1]) مجلة لسان العرب كان يصدر ها في الاستانة أحمد عزة الأعظمي

نظير يطلب ذكر نظيره، وقرين يدعو إلى إثبات قرينه، حتى إذا كتب ما شاء الله أن يكتب ترك الكتابة ثم عاد إليها في وقت آخر فأخذ يكتب ما خطر بباله أيضا دون مراعاة ما كتبه قبلا... "[10] وهكذا إلى آخر الكتاب سوى أن الذي كتبه كله لا يخرج عن حد البيان. فالبيان هو الأمر الجامع بين كل مأثبته في ذلك السفر. فمن جهة إنه لا قران بين أكثر الأقوال التي أوردها، كان كتابه أشبه شيئ بكشكول العاملي[11]. و من جهة أنه كان يكتب فيه ما خطر على باله مما سمع و روى. كان كتابه أشبه بمفكر يحملها المرء فيثبت فيها كل يوم ما أراد إثباته من قول و عمل، وليس هذا بعجيب فإن عصر الجاحظ حديث عهد بالتأليف، اذ كان المؤلفون ولا سيما كتب كذا. الأدب لا يعتمدون فيما يكتبونه إلا على ما رأوه و سمعوه واستظهروه و حفظوه.

طبع هذا الكتاب بمطبعة الأوقاف الإسلامية بالآستانة، سنة 1917 م.

5) تمائم التعليم و التربية:

وهي رسالة شعرية نظم معظمها في الآستانة عندما ذهب إليها مغاضبا من العراق عام 1992 م. وضعها لتكون في متناول التلاميذ يطالعونها و يستظهرون منها ما تميل إليه نفوسهم، و يسيغه ذوقهم ، و بين أيدي المعلمين يختارون منها ما يكون محفوظا لتلاميذهم. وهي تتضمن تدوين بعض الحقائق العلمية وبعض الموضوعات التربوية و قصص الأطفال الهادفة، و قد طبعت في بيروت عام 1924م. أنشد الرصافي في هذين الكتابين هكذا:

الف) أغرودة العندليب:

سمعـــت شـــعرا للعندليـــب	تلاه فوق الغصن الرطيـــب
إذقال نفسي نفس رفيعـــــه	لم تهو إلا حسن الطبيعـــة
عشقت منهـا حسن الربيـــع	أحسن بذاك الحسن البديـــع
فالعيش عندي فوق الغصون	لا في قصور و لا حصـــون
أ طير فيهـــا لفرط وجـــدي	من غصن كرد لغصـن ورد
و في فروع الأغصـــان بيتي	فالظل فوق والـــزهر تحتي

فسل بشدوي زهر الريـاض إني بحكـم الأزهـار راض
فكـم زهـور لمـا أفـوه أصغت و قالت لا فض فـوه
يـا قـوم إني خلقت حـرا لم أرض إلا الفضـا مقـرا
فان أردتـم أن تنونسـوني ففي المبـاني لا تحبسـوني
وإن أردتـم أن تنطقـوني فأطلقـوني،
فأطلقـوني[12]

ب) في ملعب كرة القدم:

قصدوا الرياضة لاعبين و بينهم كرة تراض بلعبها الأجسـام
وقفـوا لها متشمريـن فألقيـت فتعـاورتهـا منهم الأقـدام
يتراكضون وراءها في ساحـة للسوق معترك بهـا و صدام
رفسا بأرجلهم تساق و ضربهـا بالكـف عند اللاعبين حـرام
ولقد تحلق في الهواء وإن هوت شرعواالرؤس فناطحتها الهام
وتخالهـا حينـا قذيفـة مدفـع فتمـر صائتـة لهـا إرزام
ولربما سقطت فقـام حيالهـا للضرب عبل الساعدين همـام
فتخا لهـا و تخـاله كفريسـة سقطت فزمجر دونها الضرغام
تنحو الشمال بضربة فيردهـا محو الجنـوب ملاعب لطـام
و تمر واثبـة على وجـه الثرى مرا كمـا تتـواثـب الأرام
و تـدور بين اللاعبين فمحجـم عنها، وآخـر ضـارب مقدام
وكأنهـا والقوم يحتوشونهـا قلـب عليـه تهـاجم الآلام
راضوا بها الأبدان بعد طلابهم علمـا تراض بدرسه الأفهـام
أبنـاء مدرسـة أولاء وكلهـم يقع مريـر المـرفقين غـلام[13]

6) دروس في تاريخ الأدب العربي:

وهي مجموعة المحاضرات التي ألقاها على طلاب دار المعلمين العالية ببغداد عام 1928م. عندما كان مفتشا للغة العربية في وزارة المعارف وقد نشرت ملحقة

بمجلة التربية و التعليم التي كان يصدرها ساطع الحصري ببغداد، ثم فصلت كراستها عن المجلة وتألف منها هذاالكتاب, والموضوعات التي عالجها فيه هي:

1) ماذا يستلزم النظر في تاريخ اللغة، والفرع التي يمكن تقسيم هذا الفن إليها.
2) الأدب- ما هو الأدب ومن هو ألأديب؟ الأدب في اللغة. الأدب في الإصطلاح. تعريف الأدب على رأي المؤلف- الأدب الإصطلاحي بالنسبة إلى الأدب اللغوي. موضوع الأدب وغايته .
3) القوي العقلية ومنزلتها في الأدب- الذكاء- والخيال- والحس- والحافظة- والذوق
4) تقسيم الأدب- مزايا المنظوم على المنثور. النسبة بين المنظوم والمنثور. الشعر- مبدأ الشعر و نشأته. كيف نشأ السجع؟ دور الوزن: عامل الإتفاق والمصادفة، عامل الغناء، عامل الرقص، أول مولود من الشعر، النتيجة.
5) طبقات الشعراء- تقسيم الشعراء بالنظر إلى الزمان. بالنظر إلى الإجادة. بالنظر إلى قصائد مشهورة .
6) الأسلوب- الأساليب العامة: أسلوب المنثور العلمي، أنواع السجع، الأساليب الخاصة: الصورة المستقلة، الصورة المستديرة، الصورة المتوسطة، الواسطة العظمى للتفاضل.
7) الفصحى والعامية- الإعراب في اللغة، هل اللغة الدارجة قديمة، إختلاف لهجات القبائل.

7) رسائل التعليقات:

يحتوي كتاب *رسائل التعليقات* على رسائل ثلاث:

1) ما علقه على كتاب التصوف الإسلامي
2) ما علقه على فصول من كتاب *النثر الفني*. وكلا الكتابين لزكي المبارك.
3) ما علقه على كتاب *التاريخ الإسلامي* للمستشرق الطلياني لئونا كأيتاني.

و صفحات الكتاب مئتان و أربع صفحات في ضمنها المقدمة التي استبدت بسبع صفحات منه، وقد شغلت الرسالة الأولى الصفحات، من الحادية عشرة إلى الثامنة والثمانين، والرسالة الثانية من الحادية و التسعين إلى العشرين بعد المأة، والرسالة الثالثة من الثالثة و العشرين بعد المأة إلى نهاية الكتاب. وهو من القطع المتوسط، وقد طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة 1944م . و كتب مقدمته نعمان ماهر الكنعاني .

قال الرصافي في تعليقاته على كتاب *التصوف الإسلامي* عن البعث و الإيمان به:

> "أما مسألة بعث الموتى بأرواحهم و أجسادهم فلم أقف على كلام للصوفية في تخريجه على مذهبم و توجيهه. والذي أراه أنه معتقد صرف لا يقوم إلا بالإيمان و أن ليس للعقل فيه مجال. ولا يخفى أن الإيمان بالغيب يتسع لأكبر منه وأبعد. و لم يقم لنا عليه من الحجج الدينية، حجة أعظم من قياسه على النشأة الأولى. ولا يخفى أنه قياس مع الفارق بعيد جدا. لأن النشأة الأولى إنما وقعت على وجه من أسباب النشوء موافق لسنة الله في خلقه."[14]

وقال في تعليقاته على كتاب النثر الفني حول إيمان المسيو مرسية بوجود الخطب في الجاهلية و إنكاره النثر الفني:

> " قال الدكتور زكي مبارك: (والمسيو مرسية يومن بوجود الخطب في العصر الجاهلي، و ينكر إنكارا مطلقا أن يكون هناك نثر فني كالذي يلجأ إليه الرجل لإذاعة فكرة، أو دفع شبهة، أو أيضا مشكلة فنقول: يفهم من كلام هذا الفرنسي أن الخطب على إطلاقها ليست من النثر الفني، لأنه لايومن بوجودها في الجاهلية و ينكر النثر الفني، مع أن علماء العربية كلهم قسموا النثر إلا قسمين مرسل و مسجوع، فالخطبة سواء كانت مرسلة أو مسجوعة لا بد أن تكون من النثر و إلا فمن أي قسم من أقسام الكلام بعدها هذا الفرنسي المجترم. والظاهر من كلام المسيو أن الكلام المنثور إذا ألقاه قائله إلقاء على جمع حاشد من الناس كان

خطبة. و إذا قاله لإذاعة فكرة أو دفع شبهة أو إيضاح مشكلة كان نثرا فنيا، وإلا فبماذا يميز الخطبة عنده ليست من النثر الفني؟".[15]

و قال في تعليقاته على كتاب *التاريخ الإسلامي* حول إدعاء المؤلف أن حرخيبركانت منبعثة من مطامع مادية:

"إن الذي يرمي إليه المؤلف في كلامه هذا، هو أن محمدا لم يكن لديه سبب أو باعث إلى حرب خيبر سوى الطمع في اغتنام أموالها " و قد تكلم المؤلف نفسه أيضا عن عداوة اليهود لمحمد و ذكر كيف وقفوا له عثرة في طريقة حتى يئس منهم. و علم أنه يستحيل عليه الوصول إلا غايته المطلوبة ما دام اليهود واقفين بالمرصاد، وما داموا يناولون أشد العداء، ويحرضون قريشا و غيرهم من القبائل على حربه وقتاله. حتى أن محمدا لما زحف بجيشه إلى خيبر كان أهلها اليهود حلفاء لغطفان ضد محمد."[16]

8) على باب سجن أبي العلاء:

هو جزء من كتاب " رسائل التعليقات " كتبه بعد أن قرأ كتاب الدكتور طه حسين (مع أبي العلاء في سجنه) فأعجب به. وقد أثنى في المقدمة على المؤلف بقوله:

"و ها أنا أكتب هذه الكلمة و قد أتممت الكتاب مطالعة تدبر و إمعان. أكتبها معجبا به غير متعجب منه. لأن الدكتورعودنا أن نراه من حين إلى آخر يغوص في لجج أبحاثه العلمية والأدبية فيخرج لنا منها دررا ثمينة، على أن كلا من ثبوت إعجابي و إنتفاء تعجبي لا يمنعني من أن أخالف الدكتور في بعض آرائه " ومما خالفه فيها من الأراء:

الف) يرى المؤلف أن "اللزوميات " نتيجة الفراغ و يرى الرصافي أن قدرة أبي العلاء اللغوية هي التي جعلته " يقول لأهل الفصاحة والكسن من أهل زمانة: أيها الناس إنني أقيد نفسي في البيان بقيود تشق عليكم، و أمشى مقيدا بها معكم في طريق البيان الذي تسلكونه فأسبقكم وأنا مقيد، و تعجزون عن اللحاق بي و أنتم مطلقون.

وهكذا فعل في "اللزوميات " فكان المجلي في حلبه السباق و تركهم وراء يخبون و هم بين المصلى و السكيت ".

ب) و يذهب المؤلف إلى أن القيود التي قيد أبو العلاء نفسه بها في نظم اللزوميات أنتجت له التكرار و الإعادة، الذين ينتهيان بالقاري إلى ملل وسأم. و يرى الرصافي أن المعري كرر في الموضوع و لم يكررالمعنى عينه و "لا ريب أن أداء المعنى الواحد بطرق مختلفة من البيان، من الأمور التي قررها فن البلاغة، وأن التفاضل بين البلغاء لا يقع، على الأكثر، إلا في الطرق المختلفة في أداء المعنى. "

ثم قال: "هذا ما نقوله في المعنى الواحد فكيف إذا كان المتكرر. موضوعا واحدا عاما، مترامي الأطراف كموضوع ذم الناس مثلا فإنه يشمل الكلام عن الفضائل و الرذائل كلها، و يعم استشناع العادات و التقاليد بأسرها، فالمجال فيه واسع والتكرار فيه بأساليب مختلفة و تعابير متنوعة غير ممل ولا مسئم "[17]

صدر هذا الكتاب عن دار الحكمة للنشر و الطباعة والتوزيع و طبع بمطبعة الرشيد في بغداد عام 1946 م.

9) عالم الذباب:

هذه الرسالة جزء من كتاب رسائل التعليقات. وقد اشترتها مكتبة ببغداد اسمها دار الكتب العربية من "عبد" خادم الرصافي، وتولت نشرها وتوزيعها مكتبة الصباح، وكتب مقدمتها عبد الوهاب الأمين. وهي مطبوعة بحجم صغير جدا.

وفي هذه الرسالة عرض المؤلف للحديث الذي يتضمن الأمر بغمس الذبابة إذا ما وقعت في الشراب أو في الطعام. لأن في أحد جناحيها داء فهي تتقي به عند وقوعها في الشراب في الطعام. و في الجناح الثاني دواء. والغرض من غمسها هو غمس جناحها الثاني ليقضى ما فيه من دواء على ما أبقى الجناح الأول في الشراب و الطعام من داء. وكان في بحثه قد أيد ما جاء في هذا الحديث معززا رأيه بدلائل يراها علمية حتى عدة من معجزات النبي.

والرصافي لا يؤمن بصدق هذا الحديث. بل يراه من الأحاديث الموضوعة. وقد صرح برأيه هذا في فصل الرواية والعرب من كتابه "الشخصية المحمدية " فكتب رسالته هذه يرد بها على المؤلف الطبيب من هذه الناحية، وإلا فإنه قال في رده: "... بما علمناه وفهمناه من كلام الدكتور في رسالته. لأننا لسنا من أهل هذا الفن، ورحم الله امرأ عرف قدره، ولم يتعد طوره ".[18]

الديوان:

أول دواوين الرصافي نشر عام 1910م في بيروت, وديوانه يتوزع بين أبواب: الكونيات, الإجتماعيات, التاريخيات, الوصفيات.

أما الكونيات فهي تشتمل على سبع قصائد وهي:

1. من أين إلى أين.
2. كلمة معتبر.
3. بني الأرض.
4. العالم شعر.
5. نحن على منطاد.
6. الكني يا ضياء.
7. الأرض.

وباب الإجتماعيات تشتمل على تسع عشرة قصيدة وهي:

1. التربية والأمهات.
2. المطلقة.
3. السجن في بغداد.
4. الفقر والسقام.
5. إيقاظ الرقود.
6. ميت الأحياء وحي الأموات.
7. تنبيه النيام.

8. اليتيم المخدوع.
9. العادات قاهرات.
10. اليتيم في العيد.
11. أم اليتيم.
12. أمة الشرق ونحن في بغداد.
13. سياسة لا حماسة.
14. سوء المنقلب.
15. بعد الدستور سقوط كامل باشا.
16. الصد يق المضاع.
17. مثنيات شعرية.
18. رقية السريع.

وباب التاريخيات يشتمل على تسع قصائد وهي:

1. هلاكو والمستعصم.
2. جالينوس العرب وأبو بكر الرازي.
3. الحرب في البحر أو واقعة توشما بين الروس واليابان.
4. أبو دلامة والمستقبل.
5. في سلانيك.
6. المجلس العمومي.
7. وقفة عند يلدز.
8. أطلال العلم أو المدرسة النظامية في بغداد.
9. تموز الحرية.

وباب الوصفيات يشتمل على ست وخمسين قصيدة وهي:

1. الساعة.

2. ذكرى لبنان.
3. السعر في بغداد.
4. محاسن الطبيعة.
5. مارأيت في بك أو غلي.
6. الغروب.
7. في القطار.
8. ليلة في ملهى.
9. قصر البحر.
10. ليلة في دمشق.
11. وصف البدر عند الأفرنج.
12. الجرائد وما كانت عليه في الآستانة.
13. وقفة في الروض.
14. ضاق الخناق.
15. في عود تكسر.
16. حول البوسفور.
17. اسمعي لي كلاما.
18. يطلب جلنار.
19. أيتها الكعاب.

20. البصرة.

21. الحر في أغستوس.

22. البرد في كانون.

23. هجاء بعض المرائين من المشائخ.

24. جاهل متكبر.

25. فاسق مراء أو جاهل يدعي العلم.

26. شكر على ضيع.

27. الطفل الملتحي.

28. أيها المشنوق.

29. الأرض بيتان.

30. جواب على كتاب.

31. الغنى غنى النفس.

32. وقال: "شوقي إليك قريب".

33. قال: "لمن الديار بِلحن في الصحاح".

34. ليالي الأنس.

35. الشمس.

36. رئيس الدائنية.

37. راقم وما أدراك ما راقم.

38. تأثير التربية.

39. بين اليأس والرجاء.

40. نقش على ماء.

41. هوة الموت.

42. وقال: رقت بوصف جمالك الأقوال.

43. أقبلت في غلائل النفس الأمارة.

44. النفس الأمارة.

45. كل امرئ وصديقه.

46. وقال: قامت تميس بأعطاف وأوراك.

47. المكتب.

48. الأنس في غير موضعه كدر.

49. وقال: إلى كم تصب الدمع عيني.

50. معلقه.

51. قد يطفح اللوم حتى إن صاحبه.

52. ومن الهجاء.

53. في هجاء بعضهم.

54. شكر ووداع.

55. النشيد الوطني.

56. في المسرح.

ولكنه عندما صدرت الطبعة الثانية لديوانه عام 1932م, وزعت أبوابه بين أحد عشر وهي:

1. الكونيات.
2. الوصفيات.
3. الاجتماعيات.
4. التاريخيات.
5. الفلسفيات.
6. الحريقيات.
7. المراثي.
8. النسائيات.
9. السياسيات.
10. الحربيات.
11. المقطعات.

الكونيات والفلسفيات هي القصائد التي نظمها الرصافي تأثرا بالزهاوي والمعري في جانب،وعبر بها عن تأملاته وخواطره التي أنهتها اليه ملاحظاته واختباراته في الكون، والنفس، والمصير والإجتماع البشري. وجلها إن لم تكن كلها، من الأفكار والآراء الشائعة العادية:

وربـة أخـلاق يـراهـــا خبيثـــة أنـاس وعنـد الآخرين تطيب

وحلم الفتى عند الضعيف فضيلة ولكنـه عند القوي معيب...[19]

أما الإجتماعيات والنسائيات فإنها تفضل تلك، ما في ذالك شك، وسرها أن للرصافي فيها "قضية" عادة، يدافع عنها ، ويجاهد بحرارة في سبيلها، هي تحرير المرأة وتعليمها ونزع الحجاب عن وجهها، وتقويم ماأعوج من نظر الناس إليها، فكان يصدر فيما ينظم حولها عن عقيدة راسخة، ودعوة صادقة إلى الإنصاف من جهة، والتقدم والتمدن الصحيح من جهة ثانية. ويضاف إلى ذلك أنه كان من رواد النهضة الإجتماعية في البلاد العربية قاطبة، وطليعة العاملين، والنافخين في بوقها، وله حولها أفكار صحيحة، مثل الإعتماد على الجهد في الحاضر، ونبذ التفاخر بالماضي، والأخذ بحرية الفكر مبدأ في حياة المجتمع، وإحاطة المعرفة والعلوم بسياج من الأخلاق الفاضلة، و جعل السلطة للشعب في الحكم عن طريق المجالس النيابية والدساتير، والمناداة بنبذ الخلافات الدينية، ورفع مستوى العمال، والمساواة بين الناس في مكافأة الجهود، وتكافئو الفرض، حتى ليصح القول في شأنه: إنه رائد النزعة الإشتراكية الأول، في ديارنا العربية ومن نموذجها:

واحد في النعيم يلهو والف في شقاء وبؤس واعتلال[20]

أما"الوصفيات " فأكثرها في تصوير المشاهد والأبنية والحالات النفسية التي عرفها الشاعر كسفر في التومبيل "السيارة" أو القطار، أو كتأثر بمناظر لبنان التي أوحت إليه عدة قصائد.

و"الحريقيات" باب اختص به الرصافي ولم يسبق لشاعر قط أن اهتم به اهتمام الرصافي، وفيه وصف للحرائق التي شاهدها وكان لها أثرها في نفسه.

و تتميز "التاريخيات" بأسلوبها القصصي، فهناك ثلاث قصائد طوال: "جالينوس العرب أو أبو بكر الرازي"، و" هلاكو والمستعصم"، " وأبو دلامة والمستقبل" ، حملت الكثيرين. ومنهم العلامة الشيخ عبد القادر المغربي على وصف

صاحبها بالشاعر الملحمي، وتشجيعه على وضع ملحمة عربية توازي الشاهنامة والإلياذة.

وليس في بقية الأبواب الديوان كالسياسيات مثلا أو الحربيات ما يجعل للرصافي ميزة على غيره من شعراء العربية الأقدمين، سواء في الشكل أو المضمون، فهو لا يختلف في كثير أو قليل عن أبي تمام أو البحتري، وإن اختلفت الأزمان والأسماء والأحوال.

إلا أن الرصافي يظل، مع هذا كله، ذا فضل على النهضة العربية الحديثة، وعلما من أعلام الإصلاح والتقدم الذين افتتحوا آفاقا جديدة لشعوبهم في مطلع هذا القرن.

و بعد ذلك طبع الديوان ست طبعات أخرى، أضيفت بعض القصائد إلى كل طبعة منها:

ويقول مصطفى على أن دواوينه لاتضم كل ما نظمه في حياته من شعر[21] فقد احترق له ستمأة بيت مما نظمه أول عهده بالنظم، في غرفته بجامع نائلة خاتون ببغداد عندما كان طالب علم كما أن بعض شعره في المجون وفي الأدب المكشوف مما لايمكن نشره، وهناك بعض قصائد له رفض هو في حياته أن تضم إلى ديوانه.

مؤلفاته الرصافي غير المطبوعة:

1) الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس:

وهو كتاب كتبه في سيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم بدأت فكرة تأليف هذاالكتاب عام 1929م، وقد كتبه الرصافي خلال إقامته في الفلوجة منذ عام 1933م حتى عام 1941م. ويحتفظ المجمع العلمي العراقي بنسخة مصورة لهذا المخطوط الذي يعتبر من أهم ما كتب في حياته.

كان الرصافي يقول آسفا إن المسلمين أضاعوا شخصية نبيهم و هي أعظم شخصية عالمية، وأنهم جردوه من عظمته ومزاياه، ولم يزيدوا على أن جعلوه كالآلة الحاكية إن وضعوا فيها أسطوانة واداروها حكت وإلا فهي جماد لا حراك فيه.

وهكذا يعتقد هئولاء بنبيهم إذا جاءه جبريل نطق ودعا، ونصح وهدى؛ وإلا فلا رأى له ولا قول فالنبي إذن ما يزال لغزا وأنه هو الذي سيحل هذا اللغز ولهذا سمي كتابه *الشخصية المحمدية أو حل اللغز المقدس* وقد كتب كتابه بحرية وصراحة ناظرا إلى شخصية الرسول كما ينظر إلى أية شخصيته من البشر، ولكنه يرى أن قد " اجتمعت في شخصية من عناصر الكمال البشري مالم يعرف إجتماعه في أحد قبله: عزم لايرده راد، وتفكير عميق الغور، بعيد المرمي، وخيال واسع قوي يكاد يقاوي الحقيقة بقوته، و طموح إلى العلا لا يعلو عليه طموح، هذه العناصر الأصلية التي تتكون منها شخصية محمد.[22]

وعند الرصافي أن معجزة النبي العربي الوحيدة هي النهضة العلمية العظيمة التي " جاء بها عربية المبتدأ، عالمية المنتهى فأخذت بواسطتها أعظم انقلاب عام في الدين. والسياسة والإجتماع بدل مجرى الحياة الإنسانية، وحولها إلى ما هو أعلى مما كانت عليه قبلها. حتى إن آثارها في قليل من الزمن عمت الشرق والغرب، ولم تزل آثارها باقية إلى يومنا هذا وستبقي إلى ما شآء الله".[23]

وقد تجلت هذه النهضة العالمية أو هذه المعجزة في مواطن كثيرة في الكتاب و منها قوله:

"لا ريب أن نشأة محمد بن عبدالله المعلومة، وقيامه بأعباء النبوة، وما لقي فيها من المصائب، وما اقتحم في سبيلها من المتاعب والمشاق، وماآتاه الله منعزم شديد، وخلق عظيم. وعقل راجح حصيف..... حتى أوجد بها من العدم أمة ناهضة في سبيل الحق والحرية، فقامت قومة رجل واحد تدعو إلى الله حتى دوخت البلاد وخضع الحاضر والباد، وامتدت في أقطار الأرض شرقا وغربا في مدة يسيرة لا تتجاوز نيفا

وعشرين سنة. لهي المعجزة الكبرى التي تتضاءل دونها جميع المعجزات. ولولا ذلك لما كانت معجزة، ولا دلت على ما لمحمد من مقام رفيع و فضل عظيم".[24]

كماأثنى عليها وافتخر بها في شعره فقال:

ومذ قام ابن عبدالله فيهم أقام لكل مكرمة عمودا
وانهضهم إلى الشرف المعلى وكانوا عنه وقتئذ قعودا
فأصبح واريا زند المعلى وقبلا كان مقدحه صلودا[25]

وقال:

كفى الجزيرة فخرا في مكارمها قبر أناف بها قدرا على الشهب
قبر بترتبها قد ضم جوهرة من معدن الله لا معدن التربب
قامت بصاحبه للعرب نهضتهم تذكو بعزم لهم كالنار ملتهب
جاشت كتائبهم كالموج صاخبة ترغوا بمثل هزيم الرعد في السحب
تمخضوا من سماع الوحي عن همم نالوا بها أنجم الجوزاء من كتب[26]

2) الآلة والأداة وما يتبعهما من الملابس والمرافق والهنات:

تحدث الرصافي عن كتاب هذا، وذكر الدواعي التي دعته إلى تأليفه في محاضرته *جمودنا في اللغة* التي ألقاها على مدرسي المدارس الرسمة سنة 1922م. ونشرها في جريدته *الأمل*[27]، وما محاضرته تلك إلا مقدمة هذاالكتاب الثمينة التي ألم فيها بماضى اللغة العربية وحاضرها، وشخص داءها ووصف الدواء كما يراه هو ويذهب اليه، وبسط فيها رأيه في الإشتقاق و التعريب وافيا،

قال: " لغة كل أمة مقياس رقيها".[28]

هذه قضية لا يمتري فيها عاقل، وهي تصدق في مؤادها على لغات جميع الأمم الحاضرة والغابرة فإذا أردت أن تعرف مبلغ كل أمة من العلم، والصناعة، والتجارة، والسياسة وغير ذلك من أحوالها الإجتماعية فانظر في لغتها، فانك تعرف بها مبلغها من ذلك كله.

وذلك لأن اللغة تابعة في أطوارها إلى أطوار أهلها المتكلمين بها، فإذا ارتقى أهلها في العلوم والفنون كانت لغتهم بالضرورة مشتملة على مصطلحات تلك العلوم وإذا كان أهلها راقين في الصنائع كانت لغتهم مشتملة على كل ما يتعلق بتلك الصنائع من الكلمات. وبالجملة فهي تلو حالتهم الإجتماعية، وتبيع ارتقائهم في مدارج المدنية، فأينما تقدموا تقدمت معهم، وحيثما تأخروا تأخرت معهم، وقد مضى على اللغة العربية زمان كانت فيه سيدة اللغات، إذ كانت أهلها سادة الناس، وقادتهم إلى المعالى، وكانت بيدهم أزمة النهضة الإسلامية، وكان الملك ملكهم، والحكم حكمهم، حيث قاموا بأعباء تلك النهضة، ففتحواالبلاد، ووطدوا المهاد، فاندمج فيهم خلق كثير من الأمم الأخرى، فانتحلوا نحلتهم، أو تكلموا بلغتهم وتقمصوا جنسيتهم ولم ينتحلوا نحلتهم، فاتسع بذلك نطاق الأفكار، وراجت العلوم، وكثرت الصنائع، وتوفرت أسباب الحضارة والعمران وكان ذلك كله من أسباب ارتقاء لغتهم أيضا حتى أصبحت في ذلك العهد من أغنى لغات البشر وأغزرها مدة، فكان يلجأ إليها في بيانه كل كاتب وشاعر، ويعول عليهما فيما يصنفه كل عالم متبحر، ويفزع إليها فيما يدعيه كل فيلسوف متفكر.

ثم أخذ المؤلف بذكر الإشتقاق وتعريفه وقال: "إن الإشتقاق سماعي بالجملة في كل من الجوامد والمصادر فاننا نقتصر في المشتقات منها على ما سمعناه من العرب" . ونقل في هذا الباب قول ابن فارس الذي قال في آخر كلامه: " وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن نقيس قياسا لم يقيسوه لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها ".[29]

وقال في شعره:

تقلدتني الليـالي، وهي مدبـرة كأنني صارم في كف منهـزم[30]

3) آراء أبي العلاء المعرى:

رسالة جمع فيها المفترق من شعر أبي العلاء في *اللزوميات* وصنفه بالنظر إلى أغراضه و فنونه ثم تناوله بالشرح والتعليق. وقد تحدث عن هذه الرسالة في كتابه على *باب سجن أبي العلاء* بأنه استقرى آراء أبي العلاء في مسائل مختلفة متعددة....

فأوضحها و محصها وتابعه في بعضها وناقشه في بعض، كرأيه في حجب النساء وترك تعليمهن القرأة. ولما ذهب إلى لبنان متطببا و مصطافا سنة تسع و ثلاثين و تسعمأة وألف، كانت تصحبه هذه الرسالة فأشير عليه يعرضها على أصحاب مجلة "المكشوف" لتطبع، وبينما هو في انتظار جوابهم إذ وقدت نار الحرب فأخذ المصطافون يتركون مصايفهم وأذهله ارتباك الحال فعاد إلى العراق مع العائدين. ثم علم أنهم وافقوا على طبعها ولكن أخروه إلى ما بعد إنتهاء الحرب لإرتفاع سعر الورق.

هذا الكتاب ألفه الرصافي مرتين الأولى عام 1924م وقد نشرت بعض فصوله جريدة "المفيد" العراقية التي كان يصدرها ابراهيم حلمي وهي:

1) مقدمته و عنوانها " أبو العلاء المعرى"
2) رأي أبي العلاء في الموت والحياة
3) الغرائز
4) الناس
5) أبو العلاء والنساء
6) المعرى والرفق بالحيوان
7) الخمر في رأي أبي العلاء.

و نشرت مجلة الحرية[31] منه فصل الروح والجسد.

ثم فقد الكتاب. وألفه مرة أخرى عام 1938 م[32].

و قال الرصافي في فصل المعرى والرفق بالحيوان:

كان أبو العلاء رقيق الحس، لطيف الشعور، كبير العاطفة، شديد الرأفة بكل ذي حياة ولذلك كان يبقي على كل مخلوق، ويحرم الصيد وذبح الحيوان. حتى ترك أكل اللحوم بجميع أنواعها واقتات بالنبات فقط وجاء من أقواله في غير اللزوميات قوله:

أزعجتم السابح في لجة ... ورعتم في الجوذات الجناح
هذا وأنتم عرضه للردى ... فكيف لو خلدتم يا قباح[33]

ولنضع إلى ما جاء في هذا الباب من أقواله في اللزوميات. قال:

توخ الأجر في وحش وإنـــس ففي كل النفوس مرام أجـــر

و لا تجنبني الإحسان ضسنـــا اذا ما كان نجرك غير نجري

ولن تلقي كفعل الخير فعـــلا ولا مثل المثوبـة ربح تجـــر[34]

وقال يعنف الناس على ذبحهم الحيوانات:

ولـــولا أنكـــم ظلم غـــواة لصدكم الذكـاء فلـــم تذكـــوا

كأنكـم بني حســـواء وحش تضمنهـا السمـــاواة والإبك[35]

4) دفع المراق في كلام أهل العراق:

وهو محاولة لضبط اللغة العامية العراقية بما يلزم من الضوابط الصرفية والنحوية. فقد سلم كتابه هذا إلى الأب أنستاس الكرملي[36] فنشر منه فصولا عدة في أجزاء مجلته من سنواتها الثلاث (الرابعة والخامسة والسادسة الصادرة بين سنة 1926م وايلول م1928م) ثم استرده منه. وفي أوائل سنة 1948أم نقلت الفصول التي نشرتها مجلة "لغة العرب"

وهذا الكتاب يتعلق باللغة العامية العراقية. وكتابة هذه اللغة تتطلب حروفا خاصة، وشكلا خاصا، وتحتاج إلى إسهاب في البحث، ليهدى القارئ. ولا سيما غير العراقي. إلى كيفية تلفظه بها، وإلى دقة في الكتابة لتوصله إلى صحة نطقها وقال الرصافي في مقدمة هذاالكتاب: "إن لله في خلقه عاملين دائبين يخضع كل حادث في جميع أحواله وأطواره، ونشوئه واندثاره. وهذان العاملان هما الزمان والمكان، يشب بما غذياه، ويشيب بما رمياه. ومن ذلك لغات البشر، فإنها من أكثر الأشياء خضوعا لحكم هذين العاملين في الرقي والإنحطاط. وما اختلاف لغات الأمم إلا نتيجة من نتائج هذين المؤثرين".

يرى الرصافي في هذا الكتاب أن اللغة العربية قد تعاورت أزمة وأمكنة أوصلتها إلى ما هي عليه اليوم من اللهجة المعلومة التي تلوكها أفواه العامة لوكا

مختلفا بإختلاف الأصقاع كلهجة أهل العراق، وسوريا، والحجاز، ومصر، والمغرب، وغير ذلك من البلاد بالمتكلمين بالعربية.

5) الرسالة العراقية:

و هو بحوث في السياسة والدين والإجتماع، كتبه في الفلوجة عام 1940م ومن بين ما تعرض له في هذا االكتاب ، نظام دعاوي العشائر ونظام الأقطاع.

وفي هذه الرسالة التي ما كتبها لتنشر في العراق الذي لم يجد فيه حرية للكلام و الرأي والفكر وقتئذ، بل لتكون عبرة لمن يطلع عليها من أهل هذا الجيل أو الأجيال الآتية. وسماها "الرسالة العراقية" ، لأنه لم يخرج في مباحثها عماله علاقة بالعراق من سياسة و دين واجتماع.

وكان نظام دعاوي العشائر من الموضوعات التي طرقها في هذه الرسالة فقال: "....ذلك القانون الذي ليس هو كفرا في الإسلام فقط، بل كفر وأشنع من الكفر في جميع الأديان. وليت هذا القانون خص بأهل السواد من العشائر الذين يسكنون الأرياف يحرثون الأرض. ويزرعون كما تقتضيه تسميته بقانون العشائر[37] ولكننا نراه إذا شاء الهوى جرى تنفيذ أحكامه غلى أهل المدن أيضا كما وقع ذلك غير مرة... .[38]

وكانت صورة المجتمع العراقي أن المرأة عندهم لاترث، بل هي نفسها مال موروث فهي عندهم كالبقرة والشاة وغير ذلك من دوابهم تباع وتشترى، وتجرى فيها المساوة فتعطى في الديات وتمنح متعة في الجنايات. وبالجملة هي مال متقوم حتى إن من كان منهم ذا بنات عد نفسه من الأغناء. وإذا كانت المرأة ذات زوج فساوم وليها رجل آخربأكثر ممادفع زوجها بأرغم زوجها على الطلاق، وربما- اذا كان زوجها غائبا- زوجها وليهاآخر من دون الطلاق طمعا في أخذ الصداق.[39]

وقد تكلم الرصافي عن نظام الأقطاع كلاما صريحا جريئا. ذكر فيه أسماء صريحة هكذا قال في مقدمة هذاالكتاب:

"ثم إن العراق اليوم يمثل العصور الإقطاعية بأشوه وجوهها السود، وأقبح صورها المنكرة.حيث ترى فيه من يملك ألوف الفدادين من أراضيه التي تسقي سيحا

أو بواسطة المضخات، وترى في ملكه الواسع العظيم ألوفا من الناس يكدون له ويكدحون، ويحرثون ويزرعون، وليس لأحدهم من مرافق الحياة سوى ثوب أسمال، ورغيف خشكار، وترى صاحبهم في نعيم سابغ، وغرباذخ، وشرف شامخ. يقضي أوقاته في عيش رغيد، وفي قصف ولهو من كد هئولاء المدقعين الذين يتجرعون كئووس البوئس والشقاء "[40]

وأما ما يتعلق بالأبحاث الدينية التي تناولها في هذه الرسالة عن المسلم لتعلم من هو المسلم في عرف الرصافي وأية صورة له في ذهنه قال:

"... وكذلك يجب على المسلم أن يكون حرا في حياته، و حرا في تفكيره أيضا. أما كونه حرا في حياته فلأنه بقوله: " لا إله إلا الله " يتجرد من كل عبودية لغير الله ، فلا يخضع لسلطان إلا سلطان الله ، ولا يقبل حكما إلا الله، وحكم الله وسلطانه لا يتجليان له إلا في الشرع الذي أنزله الله على نبيه محمد، وفي القانون الذي أجمع عليه المسلمون. لأن إجماع المسلمين منبعث من وحدتهم فهو يحمل روح الإسلام الذي هو دين الوحدة. فلذا يكون حكم الله وسلطانه سلطان الله. وبالجملة فعلى المسلم ألا يقبل حكما إلا الله. وألا يخضع إلا لسلطان الله. ومتى كان كذلك كان بلا ريب حرا في حياته التي يمثلها قوله " لا اله الا الله "[41]

6) خواطر و نوادر:

وهي رسالة جمع فيها ما عن له من خواطر مختلفة، منها الأدبية واللغوية، و منها الفنية و الإجتماعية، ومنها العامية والدينية، كتبها بالفلوجة سنة 1940م. وهو يحدث في مقدمتها عن الداعي الذي دعاه فيقول:

"الخاطر هو الهاجس الذي يقع في خلدك عفوا بلا قصد، أو بداع من دواعي التفكير. وأكثر ما يكون كنت معتزل الخلطاء منفردا عنهم. ولو أني من أول عهدى بالتفكر جمعت خواطرى لكانت شيئا كثيرا ".

وقد تناول الرصافي في هذه الرسالة من الخواطر اللغوية كلمة " دعاية " فقال "أدعاية أم دعاوة"[42]

كثر استعمال كلمة (دعاية) في أيامنا فتداولتها الألسن والأقلام. وهي تستعمل في كلامهم بمعنى بث الدعوة و نشرها بين الناس بقصد استمالتهم إلى أمر من الأمور أو تنفيرهم منه. غير أن بعض المتنطسين في اللغة من الكتاب أنكر هذه الكلمة وأخذ يستعمل مكانها دعاوة.

وإستعماله دعاية هو الصواب لا دعاوة.

أولا: لأن الدعاوة إسم من الإدعاء كالدعوى. فمعناها غير المعنى المراد بالدعاية. ذلك لأن الدعاوة المراد بها هو نشر الدعوة في أمر من الأمور لإستمالة الناس إليه أو تنفيرهم منه. و معنى الإدعاء لا يناسب هذا.

ثانيا: إن كلمة دعاية وردت في الكتاب النبوي الذي أرسل إلى قيصر. إذ جاء فيه: "... أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ... " ولا ريب أن رسول لله صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد. فدعوى عدم السماع فيها غير صحيحة.

7) الأدب الرفيع في ميزان الشعر:

جمع الرصافي في هذاالكتاب ماألقاه من الدروس في علم العروض والقافية على طلاب

دار المعلمين العالية ببغداد. وقد أودع تلك الدروس أهم ما يحتاج إليه الأديب من الإطلاع على هذا العلم، وما يفتقر إليه الشاعر لمعرفة " صحيح أوزان الشعر وفاسدها" والرصافي يرى الوزن ضروريا للشعر. فقال في مفتتح كتابه هذا: " لما كان الشعر وليد الغناء وقرينه لزم أن يكون مطابقا لما فيه من ألحان وإيقاع، ولا يكون كذلك إلا إذا كان موازنا لتلك الألحان في الحركات والسكنات، وهذا هو الوزن و بهذا تتبين لك حكمة وجود الوزن في الشعر و فلسفته، نعم، لا ينكر أن الشعر قد يكون غير موزون كما في الشعر المنثور، ولكن إطلاق الشعر على المنثور إنما هو إطلاق بالمعنى العام أي من حيث انه يؤثر في النفوس تأثيرا شعريا. وإلا فالشعر بمعناه الخاص لا يجوز أن يكون غير موزون.

و قد تكلم في كتابه هذا عن واضع علم العروض، عما هداه إلى وضعه. و هو يخالف من ذهب إلى دقدقة مطارق الصفارين على الطسوت هي التي هدت الخليل إلى وضعه و يراى رأي من قال: إن معرفته بالأنغام الموسيقية التي كان يعرفها هي التي هدته إليه.

ومن المعلوم أن واضع علم العروض هو الخليل بن أحمد الفراهيدي. وذالك في القرن الثاني من الهجرة. ولقد كان الناس قبل ذالك ينظمون القريض استنادا إلى ملكاتهم الفطرية، ولم يعرفوا هذه المصطلحات العروضية التي وضعها الخليل. حتى إن الشعر كله كان يسمى عندهم بإسمين: رجز و قصيد[43]. فكل شعر لم يكن من الرجز سموه قصيدا. وما كانوا هذه الأبحر الشعرية بأسمائها المعروفة عندنا اليوم كاالطويل والبسيط والمديح والكامل الخ... فإن هذه الأسماء إنما وضعها الخليل إذ سمي كل بحر من الشعر باسم خاص يناسبه ليمتاز كل بحر عن غيره.

وأما سبب تسمية هذا الفن بالعروض فلأن قواعده يعرض عليها الشعر ليعرف بها صحة وزنه و فساده. أما المقالات التي تناولت الرصافي بالنقد والدرس، فإنها كثيرة. قد يكون أشهرها مقالة الدكتور شوقي ضيف " جوانب إنسانية الرصافي " في كتابه " دراسات في الشعر العربي المعاصر" و مقالة مارون عبود، في كتابه " على المحك "، وبعض المقالات الأخرى المنشورة في مجلة " الرسالة " المصرية، و" الأديب " اللبنانية، و" المشرق " و " العرفان ".

شعره:

شعر الرصافي أصفى مرأة تنعكس عليها حياة أمته انعكاسا صادقا أمينا، و خير سجل للحقبة التاريخية التي اجتازها العراق منذ أواخر العهد العثماني إلى يوم وفاة الرصافي. وفي وسع المئورخ أن يركن منه إلى مصدر لايكذبه، ويطمئن إلى مرجع لايخدعه.

ولما كان قد لمس حاجات الأمة وشعورها لمسا حقيقيا بحكم نشأته بينها. وشاركها في تذوق مرارة البوئس، وشاطرها مضاضة الحرمان، فإنه إذا ما نظم فإنما

ينظم عن شعور مستكن في اعماق ضميره، ويترجم عما يجيش في نفسه من حس صادق أصيل لاتصنع فيه ولا تكلف، فلا عجب إذا كان أبرع مصور لبوئس الأمة و مآسيها، ولا غرابة إذا أصبح أصدق مترجم عن آلام الشعب وأحزانه. وهو إذا ما صور لوحة من اللوحات الكئيبة، لايكتفي بمجرد التصوير بل يتخلص منه إلى استنهاض الأمة، بعد ان يأخذ عليها ركودها وجمودها، ويعيب عليها رضاها بما هي فيه، ويدعوها إلى أن تطمح إلى حياة أعز، ومنزلة أسمي، فإذا ما كتب عن " اليتيم في العيد " مثلا، فإنه لايقف عند وصفه حله وحال أمه وما يقاسيان من معيشة ضنك، وفقر مدقع بل اسمعوه يقول:

فعدت وقلبي جـــازع متـوجـع وقلت وعيني ثـرة الدمـع تهمع
ألا ليت يوم العيد لا كـــان إنه يجدد للمحزون حزنـا فيجـزع

وغذا ما هاجه منظر "السجن في بغداد" فلا يحصر مقاصده في وصف السجن و ضيقه ظلمته، وما يكابد فيه المسجونون من نكد وشقاء، بل يختم قصيدته بقوله:

ألا رب حر شاهد الحكم جائـرا يقود بنـا قـود الذلـــــول المعبـد
فقال ولم يجهر و نحن بمنتـدى به غير مأمون الوشـــــاية ينتدى
على اي حكم أم لأيـة حكمـــة ببغداد ضاع الحق من غير منشد[44]

أغراض شعره:

يرى الرصافي أن الشعر والنثر كليهما يصلحان لجميع المعاني. بهذا صرح في كتابه *رسائل التعليقات* مخالفا راي الدكتور زكي مبارك في أن " هنالك مواطن للقول لا يصلح فيها غير النثر، و مواطن أخرى لايصلح فيها غير الشعر". لأن النثر يصلح لجميع المعاني وكذلك الشعر. فإن الشاعر يستطيع أن يعمد إلى حقيقة مادية جافة فيلبسها ثوبا قشيبا من الخيال ويظهرها للناس بصورة شعرية ". و ضرب امثلة لشعراء العرب الذين طرقوا أبواب علوم مختلفة فما ضاق الشعر في وجوههم. وتجنب أن يضرب أمثلة من شعره وهو الذي طرق فيه أبوابا من العلوم عديدة، واتخذ من الكون كله غرضا له. وقد أعانه على بلوغ ما أراد بيان سهل ناصع، وقريحة ثرة،

وديباجة مشرقة، وأسلوب واضح لا حشو فيه ولا تعقيد، وألفاظ مختارة منتقاة؛ فخلف لنا هذه الثروة الشعرية بمعانيها الغزيرة الفياضة، وبوبها هذا التبويب الذي ترونه في ديوانه؛ و نظم بعد الديوان قصائد ومقطعات سيلحق كل منها ببابه.

على أن تبويب الديوان لم يجر على إطلاقه. فرب سياسة واجتماع و مدح و هجاء احتلت أماكن من قصائد الوصف، و رب وصف شمل قصائد السياسة والإجتماع والكونيات والحريقيات مثلا. وهكذا يقال في كل باب من ابواب الديوان. فالتبويب إذن جاء في الأعم الأغلب.

معروف الرصافي شاعر عاطفي مبدع تعددت نواحي شاعريته و تنوعت جوانب إبداعه فلم يدع الرصافي بابا من أبواب طرقه الأقدمون أو عالجه المحدثون ولا فنا من فنونه الا قد تصرف فيه وعالجه علاجا قويا. فنظم في الوصف و المدح و الرثاء والفخر و الهجاء و غيرها من الأغراض.

الوصف:

قد تصرف الرصافي في الوصف و توسع توسعا عظيما، وأهم ما تناوله بالوصف الطبيعة بما فيها من جمال وإبداع في السماء و نجومها، و الأرض وجبالها، ووهادها ووديانها، والبحار والأنهار وعظمتها.

لقد افتن الرصافي بالطبيعة افتنانا ملك عليه لبه، واستولى على مشاعره فكان ترجمانا لهذه الطبيعة التي وقف حيالها موقف المصور البارع، المأخوذ بسحر جمالها، وهو أحد أولئك الشعراء اللذين ألهمهم الكون، فقرءوا فيه سطور الإبداع، وصاغوا منها غرر شعرهم:

قرأت وما غير الطبيعة من سفـر صحائف تحوي كل فن من الشعـــــر
أرى الأشعـــــار تبـدو نضيـدة على صفحات الكون سطرا على سطر[45]

وهو في هذا المواقف قد ينحرفعن غايته من الإشادة بهذه المناظر الباهرة، والتغني بالصور الساحرة التي شحذت عبقريته، وألهمت شاعريته، فيقف موقف

المفكر المتأمل الذي يجد في أسرارها، والأحاطة بحركاتها، فيتنكب به المسك، وينبو عنه السبيل، وتغلب شاعريته الثرة على ما كان قد حاول من إنعام النظر، وإعمال الفكر والعقل.

ونقف أمام القصائد الوصفية التي انبثت في ديوانه فكسته حمرة الشفق وزرقة السماء، وتلألؤ النجوم، ونضرة الزروع، وإيناع الورود. ومنها ما أفرد له بابا، هو سفر هذه الطبيعة المفعمة بآيات الحالق الناطقة بعظمته، الدالة على إعجازه، وفي هذه القصائد صب الرصافي شاعريته الصافية في القوالب الشعرية استحق بها أن يكون في مقدمة الوصافين من مجيدى الشعراء.

المدح:

أما مدح الرصافي فقليلة في ديوانه. والذي يخيل إلينا أن نشعر المديح عند الرصافي كان وليد المناسبة، فقلما خلصت له قصيدة وإنما أكثر شعره فيه تجده قد شيب بشكوى الزمان، وتنكر الخلصاء وقسوة الدهر، يرفع هذه الشكاة تحمل هذه المعاني، وفي ثناياها ترى المديح إلى من توسم فيهم الخير، والعون على صروف الدهر، اقرأ له قصيدة " إلى غرة آل سعدون " يبدئوها بالمديح، ليصل منه إلى غرضه الأصلي:

أعبد المحسن السعدون إني	أراك مناط أسباب الرجـاء
وأبصر من فعالك بدرتـم	يلألي من فخارك في سماء
لذلك قد أتيت إليك أشكـو	رثاثة بزتي وبلي كسائي[46]

ويأخذ الشكوى في أبيات كثيرة، إلى أن يعاود المديح مرة ثانية بمزاياه الجمة، وكبر نفسه، وعلو همته، وبشاشة وجهه، وأصالة رأيه، واتقاد ذكائه، وصراحته، وعذوبة شمائله،

الهجاء:

وللرصافي هجاء، أثبت منه في ديوانه قدرا يسيرا، ولعله اجتزأ منه بهذا القدر الذي رأى فيه بعدا عن الإقذاع والفحش، وأكثر هجوه لمن عاب شعره، وهو جد

حريص على ألا ينال منه عدو نيلا، وهذه سمة كثير من شعراء العصر الحديث، الذين كانوا يفرقون إذا ما عاب شعرهم عائب، ولم يبرأ من الفرق من النقد كثيرامن أعلام الشعر والأدب، وكثير من العلماء، الذين كانت نفوسهم تثور وتضطرم إذا ما حاول واحد الغض من موهبتهم، أو وجد مأخذا في أقوالهم، ولهؤلاء عذرهم فيما ذهبوا إليه، فهذا فنهم الذي يعتذرون به، أو هو ميزتهم التي تميزوا بها على غيرهم. وكانت منزلتهم في الأمة التي ينتسبون إليها بسبب هذه الملكة الشعرية التي عرفهم الناس بها، وقدروهم بمقدار تجويدهم فيما يصدر عنها.

ومن أهاجي الرصافي لبعض ذوي الرذائل في بلده الذين تمثلت فيهم مساوي الأخلاق من التحاسد وثلب والنفاق والسعاية والحقد:

ركضوا بميدان التحاسد خليهـم وسبوا من الأغراض كل مباح
لبسو النفاق لهم دروعا واغتدوا يتطاعنون من الخنا برمـــاح
أضحوا طماة وشاية وسعايـــة ومن الضغائن هم شكاة سلاح[47]

وقد جرد الرصافي من شعره حساما شهره في وجه الذين عرضوا لآرائه في الدين وطعنوا في عقيدته واتهموه بالكفر والزندقة؛ وقد بحث عقيدته مثلا لذلك الهجو المقذع، كما سبقت نماذج لهجائه لأولئك الذين شككوا في وطنيته؛ ولم يحملوا نصحه على الوجه الذي أراد له. ومن ذلك قوله فيمن أفتى بكفره من علماء بغداد لإنشاده قصيدته " في مسرح التمثيل " التي أنكر فيها تشديد القوم على النساء في الحجاب:

يأيها المفتي بتكفيرنـــــــا مهلا فقد جئت بأمـــر نكيـر
بأي جهل فيك مستـــأصل علمت يا جاهل ما في الضمير
وذاك أمر ليس تنتـــاشـــه إلا يد الله العلـيم القديـــــر[48]

أما رجال السياسة فإن الرصافي لم يقصر في النيل منهم إذا رأى في سلوكهم انحرافا عن آمال الأمة فيهم، وكان هجائه إياهم من أعظم الأسباب في حربه والكيد له، ومن ذلك أنه لما نفي بعض رجال الحزب الوطني وحزب النهضة وشدت نوادي هذين الحزبين، قال الرصافي يخاطب الحزب الذي بقي والذي سمي نفسه " الحزب الحر المعتدل":

قولوا لحزب تسمى الحر معتدلا هل أنت من بعد نفى القوم معتدل
وهل لما حل بالحزبين باكيـــة عيناك؟ أم أنت مسرور به جـــذل؟
تالله ماأنت حر في مطالبـــــة وإنمـــا أنـــت للحكـام معتمـــــــل[49]

أسلوب شعر الرصافي:

للرصافي أسلوب خاص لم يتح للقدماء ولا للمعاصرين فقد بلغ به شعره حدود المعجزات فالرصافي الذي توفر على اللغة درسا وتمحيصا وتدقيقا لم يكن يعجزه الإكثار من ايراد الكلمات الضخمة غير المتداولة ولكنه لم يركن إلى مثل هذا النوع من الشعر فقد كان يراه بعيدا عن الأدب الصحيح. فهو منذ أن قدر له أن يقول الشعر لم يخل له بيت واحد من محاسن الفصاحة الطافحة بالعجب ولذلك فإن شعره يبيت قريبا من ذهن القارئ بجليله ودقيقه.

ومن شعره ما يقع موقع الظرف الذي يريح النفس سماعه من ذلك قوله في منتدب التهذيب.

ألا رب شاك قال لي وهو آسف أما آن للتهذيـــب أن يتبغـــــددا
فقلت له أبشـــــر بخيـــــر فإنـه ببغداد للتهذيب أسس منتـــدى[50]

وفي الديوان كثير من هذا النوع من الشعر الذي تفرد به الرصافي ببسطة تتأرجح بين التقريب مرة والتبعيد أخرى في ظل ظرفه المعهود فإنه ما ظهر معنى النفس حتى في أحرج ساعة تبسر له فيها الزمان وتجد روعة في موضع الحل والعقد في كل بيت من هذه الأبيات جلية واضحة وبعيدة الشأووتجد شعره في هذا المجال ناعم الحد في اللفظ خشن الحد في المعنى ومع ذلك تلجأ إليه النفس ولا يريبها قصده وعمده ولا تصم عن دعوته ولم يكن الرصافي ظنين التدبير في كل ما أقدم عليه في تلك المجالات فصور الحزم في مواطن التقريع من شعره ثابتة وناطقة بأسطع البراهين. وكان الرصافي يرى ما يجره الاحتمال رخيص بالنسبة إلى شغفه وتعلقه ببيانها والتفديد بكل ما يحول دون المعقول المقبول. وشعره في كل ما أراد كان ينزل كالسيل الآتي من حيث لايدرك ويأتي فيه بالأمر فيخلد بذلك خلود الحديث المأثور

وكان الرصافي ينزع فيه إلى مرامى في الإصلاح ولم يكن ضيق المجس في مجال النقد فيها ويتجشمها ولو حرض الزمان عليه ريق الغيظ.

يعود تعدد أوجه التخصص في الشعر لاختلاف ميل وتوجهات الشعراء أنفسهم، فهناك من يختص نتاجه الشعري بالعاطفة أو الهجاء والذم، أو المديح أو السياسة والمجتمع.....ويفرض الاتجاهان الأخريان موقفاً على الشاعر مع أو ضد الحاكم وغالباً ما يكون شاعر السلطة منبوذ اجتماعياً وانتهازي يسخر موهبته للدفاع عن الطغاة لقاء الكسب المالي وعلى حساب المجتمع.

في حين أن الشاعر المناهض للحاكم بالضرورة تكون توجهاته متوافقة وتوجهات ومطالب المجتمع، وبالتالي فإنه يسخر إبداعه لخدمة الإنسان وينال لقاء ذلك السجن والتعذيب والإساءة وبالمقابل يحظى باحترام وتقدير أبناء شعبه.

إن طريق الرذيلة متاح أمام النفس الدنيئة الساعية أبداً وراء تحقيق مصالحها الخاصة وطريق الفضيلة لاتسلكه سوى النفس السوية المتعاطفة أبداً مع محيطها الاجتماعي، وهي مؤمنة بعدالة قضيتها وتوجهاتها بالرغم من أنها لاتحصد سوى العذابات لقاء مواقفها.

لاتقاس موهبة الشاعر فقط بآليات وتقنيات الشعر، وإنما بتوظيفها في خدمة الإنسان. وحين يكون هذا التوظيف ذاتياً ومتعارضاً مع الإنسان فإنه يلحق الأذى والضرر بالمجتمع، ويتوجب أن يجابه صاحبه بالاحتقار والنبذ الاجتماعي كونه خالف مهامه الأساس باعتباره مثقفاً يعكس مطالب المجتمع لا الطغاة الذين يحتكمون إلى العنف والاستبداد.

إن فعل القصيدة الشعرية في التحريض الاجتماعي ضد الحاكم، يفوق عشرات المرات فعل البيانات والمذكرات الحزبية ضد الحاكم. لذا تسعى معظم الكيانات الحزبية لاستمالة الشعراء وتجيير خطابهم السياسي لصالح مواقفها الحزبية، فهي تعي مدى التأثير العاطفي والوجداني الذي يتركه الشعر السياسي على الأفراد في المجتمعات المقهورة.

يعبر معروف الرصافي عن موقفه السياسي ضد الحكومة قائلاً:

لم تستفد إلا سقـــــوط وزارة وتأليف أخرى مثل تلك بلا فـــــرق
ألم يبصروا للعدل غير طريقهم فإن طريق العدل أوضح الطـــــرق
ماذا عسى يجدي سقوط وزارة إذا لم تقم أخرى على العدل والصـدق
ولكن وراء الستر كف خفيـــة تزحزح من شاءت عن الأمر أو تبقي[51]

لايفقد الخطاب السياسي المتبني للمطالب الاجتماعية في القصيدة الشعرية بريقه وحجته ومدلوله باختلاف الأنظمة والحكام والأزمنة لأنه خطاب ضمير ينهل مفرداته وصياغته من منظومة قيم الخير والشر الناظمة لشبكة العلاقات بين البشر.

على الرغم من الرصافي كان في نزاع نفسي كما يبدو من خلال بحث رؤوف الواعظ "معروف الرصافي وأدبه السياسي" لأنه كما يقول الباحث "إن الرصافي كان يجمع بين شعورين متصلين ببعضهما البعض كل الاتصال، فهو عربي، يتمنى للعرب كل مجد وسؤدد، وهو مسلم، بطبيعة نشأته الدينية المتغلبة على تفكيره ونفسيته، ولهذا كان يعطف على الدولة العثمانية باعتبارها دولة مسلمة، ولم يكن من رأيه في هذا الوقت انفصال البلدان العربية عن الدولة العثمانية، وإنما كانت غاية أمانيه، تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للدولة العربية".. لذلك "خاصم ثورة الشريف حسين مخاصمة فيها شيء كثير من الشدة والغلظة، ويضيف "وقد عارض تلك الثورة كل من الأمير ابن الرشيد في الجزيرة العربية والإمام يحي في اليمن، كما عارضتها مصر والسودان"، التي يصفها الباحث بـ "العداء الحقيقي تجاه الثورة"، و يقول الباحث أيضاً أن "أمراء آخرون قد أيدوها مثل ابن السعود وابن الصباح، ليس بدافع الرغبة في هذه الثورة، أو انتصاراً للقضية العربية، أو مودة للشريف حسين، وإنما مرد ذلك راجع إلى الإخلاص العميق الذي يكنه هؤلاء لبريطانيا التي علقوا مصائرهم بمصائرها، وأطماعهم بما قد وعدوا به من وعود خلابة".. وكي لا نطيل في شرح تلك المواقف المخزية التي لا زالت كما هي ولم تتغير منذ ذلك التاريخ، فإن القاريء يجد في هذا الكتاب بعض من تاريخ العراق في العهد العثماني ومعاناة العراق

والعراقيين في عهد الانتداب البريطاني كما أسموه آنذاك وهو تحريف لكلمة احتلال مباشر، وفي هذا السياق فصل كامل عن مرحلة الانتداب البريطاني ونضال العراقيين ضد المستعمرين.. واليوم نعيد قراءة بعض من صفحات ذلك الكتاب ليقارن القارىء العربي بين تلك المرحلة والمرحلة الحالية من احتلال العراق وكأن التاريخ يعيد نفسه، ففي الفصل الخامس الذي يحمل عنوان (بين الانتداب والاستقلال) يتحدث الباحث عن كيف "تم تأسيس الحكم الوطني في العراق" بعد ثورة عام 1920 التي "كانت هي السبب المباشر الذي حمل الإنكليز على أن يذعنوا لإرادة الشعب العراقي ورغبتهم في تأسيس حكم وطني في العراق، يرأسه ملك يختاره العراقيون أنفسهم عن طريق الانتخاب، بعد أن استبان لهم أن الحكم في العراق بات عديم الأهمية والفائدة، وأنه يمكن تأمين مصالح بريطانيا فيه على الوجه الأكمل بواسطة العملاء والمأجورين دون الحاجة إلى الحكم المباشر.. !"[52]

يذكر أن (السير بيرسي كوكس) "المندوب السامي البريطاني في العراق"، كان قد مهد لذلك بإعلان تشكيل "حكومة مؤقتة" برئاسة عبد الرحمن الكيلاني – نقيب أشراف بغداد، وأن مخطط بريطانيا كان منذ البداية من وراء ذلك اختيار الأمير فيصل بن الملك حسين ملكاً على عرش العراق.. لذلك عقد مؤتمر في القاهرة في 1921/3/12 برئاسة ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية حينذاك، وقد حضره بعض العراقيين، وتقرر فيه بصفة نهائية ترشيح فيصل لعرش العراق، ووضعت الخطة التي تسهل أمر فوزه، لأنه لم يكن هو المرشح الوحيد لهذا العرش، إذ كان هناك مرشحون آخرون من العراقيين وغير العراقيين، كما هو حاصل في هذه الأيام، أمثال: عبد الرحمن الكيلاني – نقيب أشراف بغداد – و"رئيس الحكومة المؤقتة"، وطالب النقيب – نقيب أشراف البصرة، وعبد الهادي باشا العمري رئيس الأسرة العمرية المشهورة في الموصل، ومن غير العراقيين برهان الدين نجل آخر سلاطين بني عثمان، وقد رشح البعض آغا خان لعرش العراق، كما ورد في (محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال) لعبد الرحمن البزاز صفحة

62-64.. وبما أن إدارة الشر الصهيو-أمريكية وبحسب اعتقادي قد درست تلك المرحلة بعد الهزائم التي منيت بها على أيدي أبطال المقاومة الوطنية العراقية لذلك جلبوا المدعو الشريف على من بريطانيا ومن ثم عدلوا عن ترويجه إعلامياً كما فعلوا مع عناصر ما أسموه "مجلس الحكم"، كما استفادت إدارة الشر الصهيو-أمريكية من دراسة تلك الحقبة من تاريخ العراق أنهم جلبوا تاجراً عراقياً من عشيرة معروفة على الرغم من أن قدماه لم تطأ أرض العراق منذ أكثر من ثلاثين عاماً ولا زالت عائلته وأعماله التجارية فى بلاد نجد والحجاز وعينوه رئيساً كما عينوا عميلهم "رئيس حكومة مؤقتة" كما تباهى هو بذلك !!.. فما أشبه اليوم بالبارحة!..

وفى 23 آب/أغسطس 1921، أقيم حفل تتويج فيصل ملكاً على العراق بعد انتخابات صورية بطبيعة الحال فاز فيها فيصل بأغلبية الأصوات.. وقد حضر التتويج المندوب السامي البريطاني والقائد العام للجيش البريطاني، ورجال "الحكومة المؤقتة"، ولفيف من كبار الموظفين العراقيين...

وبعودة إلى الباحث رؤف الواعظ الذي يقول فى كتابه في الصفحة 173 "...ولقد كان الرصافي حينما جرت حفلة التتويج هذه.. ولا شك في أنه نقل إليه كيف أن المندوب السامي السير كوكس، قد تأخر عن عمد وسابق إصرار، عن الوقت المحدد لبداية هذا الاحتفال ليكون الملك فيصل في انتظاره، لا أن يكون هو في انتظار الملك، حسبما تقتضي بذلك قواعد البروتوكول.. ولا ريب في أنه قد نقل إليه أيضاً، كيف جلس هذا المندوب عن يمين الملك، والقائد العام للجيش البريطاني عن شماله، فأدرك –وهو الثاقب البصيرة، العميق الإحساس- أن الملك الجديد لا محالة سيكون تحت إرادتهم ومشيئتهم، وأنه سوف يراعي مصالحهم الخاصة، دون مصالح الشعب العراقى...!"

ويضيف الباحث "فتشاءم الرصافي من ذلك -ومن حقه أن يتشاءم- وأحس بأن العراق الذي كان تخلص من الحكم الإنكليزي المباشر، سيقع من جديد في مصير أشد قسوة، وأفظع أمراً، ذلك بعد أن يتولى الأمر فيه ملك، ولكن ليس له من الملك إلا

الاسم، وبعد أن يتولى الأمر فيه حكام من أبنائه لا يستطيعون أن يأتوا بعمل ما دون رغبة سادتهم الإنكليز ومشيئتهم.. ومن البديهى بعد ذلك كله أن يندد الرصافي بالوضع الجديد، ويسخر من الملك، ويهزأ بالوزارة، ويدعو إلى الثورة على الإنكليز، والقضاء على من يسير في ركابهم، ويأتمر بأوامرهم، ممن باعوا وطنه وقومه فى سبيل تحقيق منافعهم الشخصية، ومآربهم الذاتية"[53].

وما كان بين الرصافي والملك فيصل، حقيقة يمثل طبيعة كره العراقيين عبر التاريخ للغزاة ومقاومتهم الشديدة ورفضهم لهم انطلاقاً من الفلوجة وهو ما لم تفهمه الحكومات البريطانية المتعاقبة كما لا ولن يمكن أن تفهمه إدارة الشر الصهيو-أمريكية في واشنطن.. فالرصافي كان يرى الملك ألعوبة بأيدي الإنكليز، وأنه لا يستطيع أن يعمل شيئاً دون موافقتهم ورضاهم، ولذلك فأن الملك الحقيقي هو الذي يسكن في الجانب الغربي من بغداد، المقر الرسمي للمندوب السامي البريطاني، وليس الملك الذي يسكن في الجانب الشرقى من بغداد حيث بلاط الملك فيصل الأول.. تماماً كما هو مقر المندوب السامي الأمريكي في بغداد المحتلة اليوم!!..

وفى ذلك قال الرصافي فى قصيدته (بين الملك والمفوض السامى) يشير الباحث إلى أن هذه القصيدة غير منشورة فى ديوان الرصافي:

فى الجانب الشرقى من بغدادنا ... ملك عن الزوار غير محجـــب
والجانب الغربي فيه مفـــوض ... فوق الحكومة لندني المنصـــب
والأمر بين كليـهمـا مـت ردد ... والناس بين مشرق ومغـــــرب[54]

يذكر هنا أن عبد المحسن السعدون، رئيس الوزراء لاحقاً، أراد أن يصلح بين الرصافي وفيصل، وأن ذلك لم يتم لموقف الرصافى الجريء في حضرة الملك، وبعد أن خرج من البلاط قال أبياته التالية:

أبلاط مـــــــلاط أم لـــــواط ... أم مليك بالمخانيث محـــاط
غضب الله على ساكنـــــــــه ... وتداعى ساقطاً ذاك البـــلاط[55]

لقد استطاع الرصافي في قصائده أن يظهر زيف الانتخاب الصوري وأن الحكم كله زائف حيث قال:

أنا بالحكومة والسياسة أعرف ... أألام في تفنيدها وأعنف
سأقول فيها ما أقول ولم أخف ... من أن يقال شاعر متطرف[56]

ويمضي بعد ذلك ليبين زيف مظاهر الحكومة ورموزها، ومن يطالع ديوانه يجد العديد من القصائد التي سخر منها من تلك الحكومة، ومنها قصيدته المشهورة (حكومة الانتداب) التي قال فيها بعد تشكيل الحكومة ووضع الدستور وتغيير علم العراق حيث يقول:

علم ودستور ومجلس أمة ... كل عن المعنى الصحيح محرف
أسماء ليس لنا سوى ألفاظها ... أما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم أنه ... وفقاً لصك الانتداب مصنف
من ينظر العلم المرفرف يلقه ... في عز غير بني البلاد يرفرف
من يأت مجلسنا يصدق أنه ... لمراد غير الناخبين مؤلف
من يأت مطرد الوزارة يلفها ... بقيود أهل الاستشارة ترسف[57]

وبما أن الحكم والحكومة من صنع الاستعمار فلا عجب أن يصف الرصافي هكذا حكومة وحكم بقول:

أفهكذا تبقى الحكومة عندنا ... كلما تموه للورى وزخرف
كثرت دوائرها وقل فعالها ... كالطبل يكبر وهو خال أجوف
كم ساء منها ومن وزرائها ... عمل بمنفعة المواطن مجحف
تشكو البلاد سياسة مالية ... تجتاح أموال البلاد وتتلف
تجبي ضرائبها الثقال وإنما ... في غير منفعة الرعية تصرف
حكمت مشددة علينا حكمها ... أما على الدخلاء فهي تخفف[58]

وبعد ذلك يدعو الشعب العراقي إلى الثورة ضد الحكم الغاشم فيقول:

وإذا دعا داعي البلاد إلى الوغى ... أنظن أن هناك من يتخلف
أيذل قوم ناهضون وعندهم ... شرف يعزز جانبيه المرهف
كم من نواصي للعدا سنجزها ... ولحى بأيدي الثائرين ستنتف
إن لم نضاحك بالسيوف خصومنا ... فالمجد باك والعلى تتأفف[59]

وفي قصيدة أخرى بعنوان (طيف نحن في العراق) ديوانه يقول الرصافي:

أيكفينا من الدولات إنا تعلق في الديار لنا البنود
وإنا بعد ذلك في افتقار إلى ما الأجنبي به يجود
إذن فالهند أشرف من بلادي وأشرف من بني قومي الهنود[60]

ويقول أيضاً عن "الحكومة الوطنية":

وكم عند الحكومة من رجال تراهم سادة وهم العبيد
كلاب للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود
وليس الإنكليز بمنقذينا وإن كتبت لنا منهم عهود[61]

وببلاغة الرصافي استطاع أن يصور هذا الوضع السياسي في عشرينات القرن الماضي في العراق، وما وصل إليه الوضع من سوء بالغ، كذلك قال في قصيدة له ألقاها في الحفلة التي أقامها المعهد العلمي تكريما لأمين الريحاني عند قدومه بغداد في أوائل أيلول/سبتمبر 1932، وعنوانها (تجاه الريحاني شكواي العامة)، ففي تلك القصيدة أكد الرصافي أن العراق ظل باقياً على ما هو عليه الحال تتناوله معاول الهدم، وتتناوله أيدي التخريب حيث يقول[62]:

من أين يرجى للعراق تقدم وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن، يكون السيف عند جبانه، والمال عند بخيله
والرأي عند طريده، والعلم عند غريبه، والحكم عند دخيله[63]

وعن الوزير والوزارة قال الرصافي:

فوزير القوم لا يعمل من غير إشارة
وهو لا يملك أمراً غير كرسي الوزارة
يأخذ الراتب إما بلغ الشهر سرارة
ثم لا يعرف من بعد خراب أم عمارة[64]

وفي بداية الثلاثينات أصبح الرصافي نائباً في المجلس النيابي العراقي، حيث كان نوري السعيد رئيساً للوزارة وقد اعترض الرصافي على توقيع المعاهدات التي قدمتها بريطانيا بواسطة نوري السعيد، وكشف في كلماته في المجلس النيابي مخاطر تلك الاتفاقيات متسائلاً: أية معاهدة هذه تقوم بين طرفين أحدهما قوي "محتل" والآخر ضعيف؟!.. وأية منافع سيجنيها العراق من جراء عقد تلك الاتفاقيات؟!..

وفي مطلع قصيدة (يوم الفلوجة) يقول الرصافي:

أيـــــها الإنـكليزي لـن نتنـــاسى بغيكم في مسـاكـن الفلوجــة
ذاك بـغي لـــــــن يشـفي الله إلا بالمواضي جرحـة وشجيجـه
هـو كرب تأبـى الحميـة أنـــا بسـوى السيف نبتغي تفريجه
هو خطب أبكى العراقين والشام وركـــن الـبنيـــة المحجوجـة
حـلهـا جيشك،م يريد انتقامـــــأ وهو مغر بالساكنين علوجـه[65]

ويختمها قائلاً:

أخصب الله أرضه ولو أني لست أرعى أرضـه ومروجه
كـل يـوم بـعـزه أتغنـــــى جـاعـلاً ذكر عـزه أمزوجـــة
مـا حياة الإنسان بالـذل إلا مرّة عـند حسوهـا ممجوجـــة
فثـناء (للرافدين) وشكـــراً وسـلامـاً عليك يا فلوجـــــة[66]

هذا باختصار كان موقف الشاعر معروف الرصافي من ما سمي بالحكم والحكومة الوطنية آنذاك فكيف الحال بشعراء العراق اليوم في ظل الاحتلال الصهيوني-الأمريكي للعراق تراهم ماذا سيقولون وماذا سيكتبون وماذا سيخبرنا التاريخ عنهم لاحقاً؟![67].

خاض السياسة خلال السيطرة العثمانية على الواق, ومارس هذه السياسة بغاية من انشاط والإخلاص حتى قال:

تعودت ألا أستنيم إلـى المنـى وألا أرى إلا بهيـنـة ثـائـر[68]

وقال:

أبى الحق إلا أن أقـــوم لأجلـــــه على الدهر في كل المواطن ثائرا[69]

وكان السلطان عبد الحميد ملك الدول العثمانية, فصرح الرصافي بحريته, وحاربه حربا مزيجا من الأدب والسياسة, ونظ في ثورته هذه قصائد لم يكن الممكن له أن ينشرها في إحدى الجرائد الصادرة من الدول العثمانية, فأرسلها إلى مصر التي كانت متحررة من سيطرة العثمانيين ذلك الوقت.

وقد نظم قصائد لمعالجة الأمور السياسية, منا (تنبيه النيام) يقول فيها:

أما أسد يحمي البلاد غضنفر فقد عاث فيها بالمظالم سيدها
عجبت لقوم يخضعون لدولـة ليسوسهم بالموبقات عميدهـا
و أعجب من ذا أنهم يرهبونها وأموالها منهم ومنهم جنودهـا[70]

وكذلك قصيدته (رقية الصريع):

يا عدل طـال الانتظـار فعجل يا عدل ضاق الصبر عنك فأقبـل
كيف القرار على أمـور حكومـة حادت بهن عن الطريـق الأمثـل
أبت السياسـة أن تدوم حكومـة خصت برأس مقدس لم يسـأل
أيكـون ظـل الله تـارك حكمـه المنصوص في آي الكتاب المنزل
أم هل يكـون خليفـة لرسولـه من حاد عن هدي النبي المرسـل[71]

وقصيدته (نحن في بغداد):

خضعنا لحكام تجور و قد حـلا بأفواهها من مالنـا مأكل سحت
وكم قامرتنا ساسة الأمر خدعـة فتم علينـا بالخـداع لهـا الدست
لماذا تخاف الموت جبنا فلم نقم إلى الذب عنا من أمور هي الموت[72]

وقصيدته (إيقاظ الرقود):

سكنـا مـن جهالتنـا بقاعـــا يجور بها المؤمر ما استطاعا
و كدنا أن نموت بها ارتياعـا وهبنا أمـة هلكـت ضيـاعـــا[73]

تولى أمرها عبد الحميد:

تنعم في قصورك غيـر دار أعاش الناس أم هم فـي بوار
فإنك لـن تطـالب باعتـــذار وهب أن الممالك فـي دمـــار[74]

وقال في كثير من الأغراض السياسية قصائد, نسمي منها قصيدته (بعد الدستور) التي قالها سقوط رئاسة الوزارة لكامل باشا:

تربع في صدر الـوزارة كـامـــــل فحط من النقصان في وجهها حرفـــا
لقد أغضب الدستـور فعـــلا ونيـــة و من أعلنوا الدستور والشعب والصحفا
قد استوضحوه الأمر والأمر واضـح فأعيـاه إيضـاح الحقيقـــة فاستعفـــــى
فيا أيها الصدر الجديد اتعظ بـــــه فإياك أن تطغـى و أن تثنـي العطفـــــا[75]

وحينما سيطر الاستعمار الغربي على البلاد التي كان يسميها الغرب ببلاد "الرجل المريض" وهو السلطان عبد الحميد أضعف السلاطين العثمانيين ووقعت على هذا الرجل أنواع من المصائب والمحن والحروب, فهنا وقف الرصافي منها موقف عثماني مخلص متشدد في عثمانية[76], ومسلم مؤمن معتصم بحبل الإيمان, حال أننا رأينا مخالفا محاربا للسلطة العثمانية قبل ذلك, ولكنه حينما رأى أعداء الإسلام يحاولون السيطرة على دوله نهض وناصرها بلسانه وقلمه, فهناك غير واحدة من القصائد قالها في هذه الحروب والاستعمار, وإليكم بعض الأبيات المختارة فيما يلي:

ألا انهض و شمر أيها الشرق للحرب وقبل عزار السيف واسل هوى الكتب
و لا تغترر أن قيل عصـــر التمـدن فإن الذي قالوه من أكذب الكـــذب[77]

ويقول لائما الغرب وزعماءه:

أيا زعماء الغرب هل من دلالـــة لديكم على غير الخديعة و الكذب
تقولون إن العصر عصر التمدن أمن ذلكم قتل النفوس بـلا ذنـــب[78]

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى بين الدول الغربية والآسيوية المختلفة دخلتها الدولة العثمانية, فقال الرصافي بهذه المباسبة:

يا قوم إن العدى قد هاجموا الوطنـــا فانضوا الصوارم واحموا الأهل والسكنا
إن لم تموتوا كراما في مواطنكـــم متم أذلاء فيها ميتـــة الجبنـــــــا[79]

وعندما اشتدت الخصومة بين حزب الاتحاد وحزب الأتلاف في العراق, حتى أدت إلى إراقة لوماء, وتقتيل النفوس البريئة, فحزه ألمها في نفس الرصافي, لأنه كان في ذلك خسارة للأمة المسلمة, فقال:

أرى الأحزاب من طمح وحرص قد اخترقوا إلى الفتن السجافـــا
لئن خطأت من رامـــوا "اتحـادا" فما صوبت من راموا "ائتلافـا"
فإن مشارب العـــــدوان منهـــا كـلا الحزبين يرتشف ارتشافـــا
وأنـي يصلـــح الأوطـــان قـــوم بها أشتـى تدابرهـــــم وصافـــا[80]

وعندما رجع إلى العراق من إستانبول جعل يسجل كل حادثة سياسية, فينظمها, وتداولت الأيدي هذه القصائد, فطار صيته في الشرق والغرب, ومن هذه القصائد قصيدة "الحرية في سياسة المستعمرين"[81]:

يـا قــوم لا تتكلمـــــوا إن الكـلام مـحـــــرم
نامـــوا ولا تستيقظـــوا مـا فـاز إلا النـــــوم
وتثبتـوا فـي جهلكـــم فـالشـــر أن تتعلمـــوا
مـن شـــاء منكـــــم أن يعيش اليوم وهو مكرم
فليمس لا سمـــــع ولا بصـر لديـه ولا فـــــم
لا يستحق كـرامـــــة إلا الأصـم الأبكـــــم[82]

1. لم يخرج الرصافي عن عمود الشعر العربي في سائر أغراض شعره, فالترم بقواعد العروض, وحافظ علي وحدة القافية, ولكنه لم يلتزم بالتصريح – وهو أ، يكون مقطع المصراع الأول في البيت الأول مثل قافيته –, فهذ يدل على أنه لم يتأثر بأساليب النظم الحديثة, إلا أنه أتى بمعان وأغراض جديدة في أسلوب متين قديم[83].

2. الرصافي في شعره السياسي غير طبيعي, بادي التأخر, دائم الحنق والثورة, غير متأنق في شعره, ولا مستجلب مفردات مصقولة, ولا خيالات مبدعة, معتز بأمور الصنعة الشعرية[84].

3. ونجد اختلافا في أسلوبه في الشعر وذلك لأنه يخاطب به عامة الناس, فيختار أسهل أسلوب شعري.

4. نجد في موسيقي شعره السياسي القوة والصخب والعنف لاختيار ألفاظ ذات جرس شديد.

5. العاطفة الصادقة هي ما يميز شعره, فليس فيه كذب ولا تمويه.

6. صدقه في الشعور وصراحته في انفعالاته أيضا من ميزات شعره السياسي.

7. ونجد فيه نوعا من الانفعال أيضا, فهو ثائر حينا, وساخر حينا آخر, ساخط مرة, وراض أخرى.

8. آراؤه السياسية صدى بيئته التي عاش فيها وتفاعل معها.

9. شعره السياسي مليئ بالقوة والصلابة والإرادة الحاسمة والقول الفصل.

10. النفوذ إلى الغرض الأصلي الذي يريد معالجته خصيصة أخرى تميزه عن الشعراء الآخرين, فإنه لا يبدأ قصيدته بالبكاء على الدمن والأطلال والتغزل بليلى والخمر والهوى.

11. الالتزام بوحدة الموضوع خلال لمعاصريه من الشعراء.

12. يستقصي المعاني ولكن لا يكون مع ذلك فيه تكلف, والفكرة تكون مسلسلة غير مكررة.

13. تعبير لفظي يتناسب مع الأحداث ومع المخاطب, فإنه مثلا حينما يخاطب الإنجليزي اللورد كراين في قصيدته المشهورة (يا لحب الشرق) فيستخدم الألفاظ العامية والتعابير المبتذلة التي يستعملها العامة في كلامهم, فيقول:

أهلا بـك يا مستركراين.
في كـل المـدايـــــن.
فـانظـر الشرق وعايـن.
أسر مـديـون لـدايـــن.
فمن المسئول عن ذلك[85].

14. القدرة التامة على التعبير.

15. لا يستعمل الألفاظ الحوشية أو الغريبة.

16. التمكن من الأوزان العروضية والقوافي, فهو يختار من الأوزان والقوافي ما هو صعب لا يستطيع غيره من الشعراء أن ينظم فيه, ومن خيره أمثلته قصيدته المشهورة (يو الفلوجة), وكذلك (الإنكليز في سياستهم الاستعمارية)[86]

مكانة الرصافي في عيون العلماء:

معروف الرصافي كان جامع أوصاف عديدة. كان في وقت واحد فيلسوفا و بحاثة و مربيا و داعية إصلاح و سياسيا. له مكانة عليا في سياحة الأدب العربي العراقي. قد اعترف كبار العلماء بفضله و كمالاته كما قال الأستاذ عبدالمسيح وزير في وصفه:

"يكاد الرصافي يحسب جبارا في جسمه الضارب لون أديمه إلى السمرة, فهو واسع الصدر بطئ النفس, عريض المنكبين, ممتليئ الجسم, مفتول العضل, متين البنية. ولولا متانة بنائه لأنهار هيكله المرسوم منذ أمد بعيد نظرا إلى أفراطه لاسيما في سابق حياته في كثر من الأمور التي تقتضي الاعتدال في المعيشة للمحافظة على عافية البدن, وفي أعلى جسمه حدب طفيف لا يكاد يرى.

ورأس الرصافي متناسب مع جسمه, وهو مائل إلى شكل المخروط, لأن الهامة فوق عينيه أضيق من قسمها الأسفل, وجبهته سبقة, وشعر رأسه أسود حالك. سبط غير جعد ولم يخطه الشيب حتى الآن وكث مقصوص لم يتساقط منه شيئ تساقطا طبيعيا مع أنه فى أواخر العقد السادس من عمره[87], وهو خفيف الحاجبين, حليق الذقن والعارضين, ومقصوص الشاربين اللذين تسرب إليهما الشيب. ولكن شعر بدنه ناعم قليل. وأنفه دقيق صغير بالنسبة إلى جسمه وقاعدته نازلة عند مفرق حاجبيه فيكاد الأنف يؤلف مع حد الحاجبين الأسفل زاوية حادة"[88].

وقال عنه الدكتور إبراهيم عاكف الآلوسى:[89]

"وإني إذ أذكر أستاذي الرصافي الذي كان أول مدرس تلقيت عنه العربية في الأعدادية الملكية قبل التحاقي بمعهد الطب في الآستانة, أذكر فيه اتزانه ووقاره, ووالله! لقد كان التلميذ منا يفرق لطلعته هيبة ويشعر بالاحترام والطاعة ويستجمع شتات أفكاره ليصغي ويسمع, وقد ظلت حلاوة ألفاظ الرصافي بعد هذا العهد الطويل تتمثل لي في مختلف أدوار حياتي وأنها تتجدد الآن فكأنها قيلت اليوم"[90].

وقال عنه أمين الريحاني:

"وهو والحق يقال – ذئب الحرية في العراق يثب على كل من يحاول قتلها أو تقييدها"[91].

وقال عنه كامل الجادرجي:[92]

"وكان الفقيد رجلا من رجال الفكر. واسع العقل. صلب العقيدة, شديد المراس في الحق, حاد الذكاء....".

وقال عنه:

"ونحن لا نغالي إذا قلنا أن النفس الكبيرة التي كان يحملها الرصافي لم تتدن إلى ارتكاب رذيلة الكذب يوما ما في حياته الخاصة ولا العامة...."[93].

وقال عنه طه الراوي:[94]

"كان قليل الاهتمام في ملبسه ومسكنه وما كله... وكان كثير الحرص على كرامته, بل كان يعتبرها أثمن ما يملكه وأعز ما يحرص عليه, فإذا شعر ولو من بعد أن أحدا تعرض له فيها هاج ولا هياج البحر الزاخر. وكل الذي أصابه من مجافاة بعض إخوانه ومقاطعة بعض خلصائه متولد من هذه الناحية, فإنه إذا شم من أحد رائحة تخيل منها أنها تحط من كرامته أو تخدش عزة نفسه قطع ما بينه وبينه غير آسف ولا نادم. على أنه إذا أوضحت له الحقيقة وكشفت له عن السر عاد إلى سيرته من الصحبة ووصل ما انقطع من الألفة. ولو قلت لك أنني لم ألق في عمري أديبا أوسع منه معرفة باللغة وخصائص مفرداتها وبالصرف والنحو وما يتصل بقواعدهما من

قيود وشروط – لم أعد الواقع.... وهو يعتبر حامل لواء التجديد في الشعر على ضفاف دجلة من غير ما منازع"[95].

وقال عنه الشاعر كمال نصرت:

"ويشعرك الرصافي وأنت جالس إليه, أنك لا تجالس شيخا جوز السبعين وشاعرا عظيما دوت باسمه الدنيا, بل يشعرك أنك جالس إلى أخ كريم وصديق حميم, وهذا الشاعر الجدبار, على الرغم من بلوغه سن الشيوخة يبدو لعينيك في براءة الطفل ووداعته ومرحه فهو يبتسم لهذا وداعب ذاك ويرسل النكتة أثر النكتة والفكاهة أثر الفكاهة"[96].

وقال عنه عبد الوهاب الأمين الأديب العراقي:

"فمن غريب المفارقات أن الرصافي كان يستخدم اسمه وشهرته وحب الناس له في قضاء حوائج غيره ممن لا يرتدعون عن اللجوء إليه في طلب الشفاعات, ولعله كان أجدرهم بطلب الشفاعة لو أنه كان يأبه للضروريات, ولو أن نفسه تقبل التوسط والرجاء"[97].

وقال عنه رئيف خوري:

"كان الرصافي عملاقا, وصورته تقترن دائما بصورة العملاق الظامئ النهم الذي يغمس شفتيه في أحواض المباهج والمسرات يكرع كرعا, وكما أنه لم يعرف حدا في هذا السبيل فهو لم يعرف أيضا نفاقا ولا تسترا يأباهما طبعه المجاهر. فأتيح لكثير ممن تقتصر الفضيلة عندهم على براعة في إخفاء الرذيلة, أن يهاجموه من باب واسع الأفضاء"[98].

وقال عنه أحمد حسن الزيات:

"كان الرصافي – أحسن الله إليه – لسان العراق الصادق, ينقل عن شعوره, ويترجم عن أمانيه, ويحدو لركبه المجاهد في سبيل استقلاله وعزته بالحداء الحماسي المطرب ويصور خلجات نفسه ووساوس أحلامه بالشعر الصريح المعجب, وظل هو والزهاوي وشوقي وحافظ ومطران حقبة من الدهر يؤلفون الأوتا الخمسة لقيثارة

الشعر العربي الخالص, ولكل وتر درجته في الرنين والجهارة والأثر.... ولكن الرصافي كان متميزا على نظرائه جميعا بالصراحة الجريئة والاستهتار البالغ, فيفعل ما يشاء, ويقول ما يعتقد, ويطلب ما يشتهي, ثم لا يبالى أين يقع ذلك كله من رأي غيره"[99].

المراجع والمصادر

[1]) كان رجال الأمن في العهد العثماني ينقسمون إلى نوعين : البوليس (الشرطة) وهم الذين يتولون الامن داخل المدن، والجندرمة (الدرك) وهم الذين يتولون الأمن خارج المدن (في الارياف).

[2]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص396، دار العودة- بيروت ،1972.

[3]) المصدر السابق ص 669

[4]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص 7، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953.

[5]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص210، دار العودة- بيروت ،1972.

[6]) محاضرات عن معروف الرصافى حياته و شعره ص 10، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953

[7]) الديوان ص 512

[8]) مترجم الالياذة- 10

[9]) مصطفى علي الرصافي- الجزء الأول، صلتي به وصيته منولفاته ، الطبعة الأولى ص 88-89، منشورات مكتبة المثنى ببغداد- 1948.

[10]) المصدر السابق ص 99

[11]) يريد كتاب "الكشكول" لمحمد بهاء الدين العاملي

[12]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص 13، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953

[13]) ديوان الرصافي- الجزء الأول و الثاني ص 222، منشورات - دار مكتبة الحياة، شارع سوريا، بيروت.

[14]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص 24، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953

[15]) المصدر السابق ص 79

[16]) مصطفى علي الرصافي- الجزء الأول، صلتي به وصيته منولفاته ، الطبعة الأولى ص 80، منشورات مكتبة المثنى ببغداد- 1948.

[17]) المصدر السابق ص 101

[18]) المصدر السابق ص 166

[19]) شعرابونا الرصافي دراسة تحليلية- عبداللطيف شراره،ا دار بيروت- للطباعة والنشر- بيروت- 1960

[20]) مصطفى على الرصافي- الجزء الأول، صلتي به وصيته منولفاته ، الطبعة الأولى ص 67، منشورات مكتبة المثنى ببغداد- 1948.

[21]) مصطفى علي، *معروف الرصافي*، الجزء الأول ص 185.

[22]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص 27، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953

[23]) المصدر السابق ص 27

[24]) المصدر السابق ص 28

[25]) المصدر السابق ص 29

[26]) المصدر السابق ص 29

---

[27]) يراجع الفصلان: *دروس في تاريخ الأدب العربي* . و *محاضرة و جريدة*

[28]) مصطفى علي
الرصافي- الجزء الأول، صلتي به وصيته منولفاته ، الطبعة الأولى ص 228، منشورات مكتبة المثنى ببغداد- 1948

[29]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص 34، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953

[30]) المصدر السابق ص 230

[31]) كان يرأس تحريرها رفا ئل بطي

[32]) المفيد

[33]) المصدر السابق ص 226

[34]) المصدر السابق ص 226

[35]) المصدر السابق ص 226

[36]) صاحب مجلة " لغة العرب "

[37]) إسمه الصحيح نظام دعاوي الشعائر.

[38]) المصدر السابق ص 208

[39]) يريد لواء الدليم. أما مدينة الرمادي فهي مركز اللواء.

[40]) المصدر السابق ص 211

[41]) معروف الرصافي- دراسة أدبية لشاعر العراق و بيئته السياسية والإجتماعية ص110، تأليف دكتور بدوي طبانة- أستاذ النقد الأدبي المساعد، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- الطبعة الثانية- 1957.

[42]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص 24، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية) 1953

[43]) يؤيد رأي الرصافي البيت القديم المشهور: أرجزا تريد أم قصيدا؟ فقد سألت هينا موجودا

[44]) المصدر السابق ص 39

[45]) معروف الرصافي- دراسة أدبية لشاعر العراق و بيئته السياسية والإجتماعية ص 236، تأليف دكتور بدوي طبانة- أستاذ النقد الأدبي المساعد، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- الطبعة الثانية- 1957.

[46]) ديوان الرصافي- الجزء الأول و الثاني ص 220، منشورات - دار مكتبة الحياة، شارع سوريا، بيروت.

[47]) المصدر السابق ص 231

[48]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص515، دار العودة- بيروت ،1972.

[49]) معروف الرصافي- دراسة أدبية لشاعر العراق و بيئته السياسية والإجتماعية ص 234، تأليف دكتور بدوي طبانة- أستاذ النقد الأدبي المساعد، كلية دار العلوم- جامعة القاهرة- الطبعة الثانية- 1957.

[50]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص106، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية 1953

[51]) ديوان الرصافي- الجزء الأول و الثاني ص 235، منشورات - دار مكتبة الحياة، شارع سوريا، بيروت.

[52]) محاضرات عن معروف الرصافي ص:37-38.

---

[53]) معروف الرصافي وأدبه السياسي ص:201-205.
[54]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص412، دار العودة- بيروت ،1972
[55]) رئوف الواعظ معروف الرصافي و أدبه السياسي ص 179، الطبعة الثانية- مطبعة الرسالة- 1957
[56]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص403، دار العودة- بيروت ،1972
[57]) المصدر السابق ص 404
[58]) رئوف الواعظ معروف الرصافي و أدبه السياسي ص 177، الطبعة الثانية- مطبعة الرسالة- 1957
[59]) المصدر السابق ص 178
[60]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص399، دار العودة- بيروت ،1972
[61]) رئوف الواعظ معروف الرصافي و أدبه السياسي ص 179، الطبعة الثانية- مطبعة الرسالة- 1957
[62]) ديوان الرصافي ص:147-149.
[63]) رئوف الواعظ معروف الرصافي و أدبه السياسي ص 179، الطبعة الثانية- مطبعة الرسالة- 1957
[64]) المصدر السابق ص 181
[65]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص412، دار العودة- بيروت ،1972
[66]) المصدر السابق ص 512
[67] مع الرصافي في شعره السياسي مقال على الإنترنيت.
[68]) محاضرات عن معروف الرصافي حياته و شعره ص48، ألقاها مصطفى علي (على طلبة قسم الدراسات الأدبية 1953
[69]) المصدر السابق ص 48
[70]) المصدر السابق ص 49
[71]) المصدر السابق ص 49
[72]) المصدر السابق ص 49
[73]) المصدر السابق ص 49
[74]) المصدر السابق ص 49
[75]) المصدر السابق ص 51
[76]) محاضرات عن معروف الرصافي لمصطفى علي 1/50-51.
[77]) المصدر السابق ص 52
[78]) المصدر السابق ص 52
[79]) ديوان معروف الرصافي- المجلد الثاني، ص465، دار العودة- بيروت ،1972
[80]) المصدر السابق ص 283
[81]) المصدر السابق ص 50-51
[82]) المصدر السابق ص 374
[83]) يلاحظ تفصيل ذلك في كتاب "دراسة أدبية لشاعر العراق" للدكتور بدوي, ص:255.
[84]) معروف الرصافي وأدبه السياسي لرؤف الواعظ, ص:232.
[85]) ديوان الرصافي ص:438.
[86]) معروف الرصافي وأدبه السياسي ص:229-245.
[87]) كان الرصافي آنذاك في السابعة والخمسين من العمر.

[88]) مصطفى على – الرصافي – ص26 جريدة (العراق) العدد 1756 في3-12-1932.
[89]) إبراهيم عاكف الآلوسي, كان وزير المعارف في العراق عند وفاة الرصافي.
[90]) الدكتور إبراهيم عاكف الألوسي – حديث في جسدة (الزمان) العراقية العدد 2276 في 18-3-1945.
[91]) أمين الريحاني – ملوك العرب.
[92]) كامل الجادرجي صاحب جريدة (صوت الأزهار) العراقية ورئيس الحرب الوطني الديمقراطي في العراق سابقا.
[93]) كامل الجادرجي افتتاحية جريدة (صوت الأزهار) العراقية العدد 822 الصادر يوم 18-3-1945.
[94]) العلامة المرحوم طه الراوي – كان عالما وأديبا عمل أستاذا في دار المعلمين العالية ومديرا عاما للمعارف وكان عضوا في المجمع العراقي والمجمع العلمي العربي بدمشق.
[95]) طه الراوي – مجلة (عالم الغد) العراقية العدد 9 في 1-4-1945.
[96]) كمال نصرت – الرصافي في أواخر أيام حياته – جريدة (الزمان) العراقية العدد 2277 في 19-3-1945.
[97]) عبد الوهاب الأمين – يعد الرصافي – مجلة (الرسالة) المصرية العدد 614 في 9-4-1945.
[98]) رئيف خوري – مجلة (الطريق) اللبنازية العدد 6 في 10-4-1945.
[99]) أحمد حسن الزيات – معروف الرصافي – مجلة (الرسالة) المصرية العدد 612 في 26-3-1945.